



حقوق الطبع محفوظة

للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

طبع بإذن المؤلف

العلم ميراث النبي كذا أتى في النص والعلماء هم وراثته
ما خلف المختار غير حديثه فينا فذاك متاعه وأثابه

رقم الإيداع القانوني: 2729-2011

ردمك: 4-83-987-9947-978

البيروت النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة

الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات: 661409999 (00213)

الفاكس: 21966847 (00213)

البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

التوزيع في مصر: دار المستقبل

50- شارع منشية التحرير- جسر السويس - عين شمس- الشرقية

ت. 00201118328377

تفسير الرزق

شرح

الأمير الإمام أحمد بن محمد بن عبد الحليم

المنظومة الأرمية لشيخ الإسلام

نبي الدين أحمد بن محمد بن عبد السلام بن محمد

رحم الله ٧٢٨ هـ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

البيروت النبوي

للنشر والتوزيع

المقدمة

ترجمة صاحب المنظومة شيخ الإسلام ابن تيمية

اسمُه ونسبُه:

هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراي.

وقيل في سبب تلقيب العائلة بـ(آل تيمية) ما نقله الحافظ ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللهُ: إن جده محمدًا كانت أمه تسمى (تيمية)، وكانت واعظة، فنسب إليها، وعرف بها).

وقيل: إن جدّه محمد بن الخضر حج على درب تيماء، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت بنتًا له، فقال: يا تيمية، يا تيمية، فلقَّب بذلك).

مولده ونشأته:

ولد رَحِمَهُ اللهُ يوم الإثنين، عاشر، وقيل: ثاني عشر من ربيع الأول سنة (٦٦١هـ)، في حرّان.

وفي سنة (٦٦٧هـ) أغار التتار على بلده، فاضطرت عائلته إلى ترك حرّان،



قاصدين دمشق، وبها كان مستقر العائلة، وبها طلب الشيخ العلم على أيدي علمائها منذ صغره.

قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللهُ عنه: سمع "مسند الإمام أحمد بن حنبل" مرات، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته "معجم الطبراني الكبير"، وعني بالحديث، وقرأ ونسخ، وتعلَّم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوي، ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً، حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك.

هذا كله وهو بعدُ ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه، وقلَّ كتاب من فنون العلم إلا وقف عليه، كأن الله قد خصه بسرعة الحفظ، وإبطاء النسيان لم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء غالباً إلا ويبقى على خاطره، إما بلفظه أو معناه، وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره، فنبغ ووصل إلى مصاف العلماء، وتأهل للتدريس والفتوى قبل أن يتم العشرين من عمره، وجلس على كرسي التدريس مكان أبيه وعمره إحدى وعشرون سنة.

حياته كلها علم وعمل:

قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللهُ: ثم لم يبرح شيخنا رَحِمَهُ اللهُ في ازدياد من العلوم،

وملازمة الاشتغال والإشغال، وبث العلم ونشره، والاجتهاد في سبل الخير، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم، والتواضع والحلم والإنابة، والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد مع الصدق والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص، والابتغال إلى الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلى الله وحسن الأخلاق، ونفع الخلق، والإحسان إليهم والصبر على من آذاه، والصفح عنه والدعاء له، وسائر أنواع الخير.

مصنفاته:

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: وأما تصانيفه رَحِمَهُ اللهُ فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر، سارت سير الشمس في الأقطار، وامتألت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حدَّ الكثرة؛ فلا يمكن لأحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعدِّ المعروف منها، ولا ذكرها.

من ثناء أهل العلم عليه:

قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ: لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد.

وقال فيه ابن الزملكاني وكتب على كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام":

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر
قال الذهبي رحمه الله: ما علمناه والله إلا مؤمناً محافظاً على الصلاة،
والوضوء، وصوم رمضان، معظماً للشريعة ظاهراً وباطناً، لا يؤتى من سوء
فهم، بل له الذكاء المفرط، ولا من قلة علم؛ فإنه بحر زخار، بصير بالكتاب
والسنة، عديم النظير في ذلك، ولا هو بمتلاعب بالدين، فلو كان كذلك؛
لكان أسرع شيء إلى مداينة خصومه، وموافقتهم، ومنافقتهم.

ولا هو يتفرد بمسائل بالتشهي، ولا يفتي بما اتفق، بل مسائله المفردة
يحتج لها بالقرآن، أو بالحديث، أو بالقياس، ويبرهنها وينظر عليها، وينقل
فيها الخلاف، ويطيل البحث؛ أسوة من تقدمه من الأئمة؛ فإن كان قد أخطأ
فيها؛ فله أجر المجتهد من العلماء، وإن كان قد أصاب؛ فله أجران.

وإنما الدم والمقت لأحد رجلين: رجل أفتى في مسألة بالهوى، ولم يُبد
حجة، ورجل تكلم في مسألة بلا خيرة من علم، ولا توسع في نقل؛ فنحوذ بالله
من الهوى والجهل.

وقال ابن السبكي في رسالته التي أرسلها للذهبي: أما قول سيدي في
الشيخ، فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم

الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كل من ذلك المبلغ
الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائماً، وقدره في نفسي أعظم
من ذلك وأجل، مع ما جمع الله له من الزهادة، والورع، والديانة، ونصرة
الحق والقيام فيه، لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك
بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان.

ذكر شيء من مصنفاته:

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في «الكافية الشافية للانتصار للفرقة الناجية»
(٢/ ٢٩٠-٢٩٣) بشرح ابن عيسى:

فاقرأ تصانيف الامام حقيقة	شيخ الوجود العالم الرباني
أعني أبا العباس أحمد ذلك	ك البحر المحيط بسائر الخليجان
واقراً كتاب العقل والنقل الذي	ما في الوجود له نظير ثان
وكذلك منهاج له في رده	قول الروافض شيعة الشيطان
وكذلك أهل الاعتزال فإنه	أرداهم في حفرة الجبان
وكذلك التأسيس أصبح نقضه	أعجوبة للعالم الرباني
وكذلك أجوبة له مصرية	في ست أسفار كتبن سمان
وكذا جواب للنصارى فيه ما	يشفي الصدور وإنه سفران
وكذلك شرح العقيدة للأصبها	في شارح المحصول شرح بيان
فيها النبوات التي إثباتها	في غاية التقرير والبيان

والله ما لأولي الكلام نظيره
وكذا حدوث العالم العلـ
وكذا قواعد الاستقامة إنها
وقرأت أكثرها عليه فزادني
هذا ولو حدثت نفسي أنه
وكذاك توحيد الفلاسفة الأئـ
سفر لطيف فيه نقض أصولهم
وكذاك تسمينية فيها له
تسمون وجهها بينت بطلانه
وكذا قواعد الكبار وأنها
لم يتسع نظمي لها فأسوقها
وكذا رسائله إلى البلدان والأـ
هي في الوري مبنوثة معلومة
وكذا فتاواه فأخبرني الذي
بلغ الذي ألفاه منها عدة الأـ
سفر يقابل كل يوم والذي
هذا وليس يقصر التفسير عن
وكذا المفاريد التي في كل مسـ

أبدًا وكتبهم بكل مكان
سوي والسفلي فيه في أتم بيان
سفران فييا بيننا ضخمان
والله في علم وفي إيمان
قبلي يموت لكان غير ذا الشأن
توحيدهم هو غاية الكفران
بحقيقة المعقول والبرهان
رد على من قال بالنفسياني
أعني كلام النفس ذا الوجدان
أوفي من المائتين في الحسابان
فأشرت بعض إشارة لبيان
طراف والأصحاب والإخوان
تبتاع بالغالي من الأئمان
أضحى عليها دائم الطوفان
يام من شهر بلا نقصان
قد فاتني منها بلا حسابان
عشر كبار ليس ذا نقصان
ألة فسفر واضح التبيان

ما بين عشر أو تزيد بضعفها
وله المقامات الشهيرة في الوري
نصر الإله ودينه وكتابه
أبدى فضائحهم وبين جهلهم
وأصارهم والله تحت نعال أهـ
وأصارهم تحت الحضيض وطالما
ومن العجائب أنه بسلاحهم
كانت نواصينا بأيديهم فما
فقدت نواصيهم بأيدينا فما

وفاته رَحِمَهُ:

في ليلة الإثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة (٧٢٨هـ) توفي شيخ
الإسلام بقلعة دمشق التي كان محبوسًا فيها، وأذن للناس بالدخول فيها، ثم
غُسل فيها، وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق، وصُلي عليه
بالقلعة، ثم وضعت جنازته في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة
الزحام، ثم صُلي عليه بعد صلاة الظهر، ثم حملت الجنازة، واشتد الزحام، فقد
أغلق الناس حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا قلة، أو من أعجزه
الزحام، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم، وتارة يتأخر، وتارة يقف حتى
يمر الناس، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام.

انظر ترجمته في:

□ "الانتصار في ذكر أحوال قانع المبتدعين وآخر المجتهدين"، للحافظ

ابن عبد الهادي المقدسي.

□ "الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية"، للحافظ البرزالي.

□ "سير أعلام النبلاء"، للحافظ الذهبي.

□ "المعجم المختص"، للحافظ الذهبي.

□ "البداية والنهاية"، للحافظ ابن كثير.

□ "ذيل طبقات الحنابلة"، للحافظ ابن رجب الحنبلي.

□ "الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية"، لمرعي الحنبلي.

□ "الرد الوافر على من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر"، لابن ناصر

الدين الدمشقي.

□ "البدر الطالع بمحاسن القرن السابع"، للعلامة الشوكاني.

المنظومة اللامية

- يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي (١) رَزَقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ
اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ (٢) لَا يَنْشِئُ عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ
حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلُّهُمْ لِي مَذْهَبٌ (٣) وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ
وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ سَاطِعٌ (٤) لَكِنَّا الصَّدِيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ
وَأَقُولُ فِي (١) الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ (٥) آيَاتُهُ فَهُوَ الْقَدِيمُ (٦) الْمُنَزَّلُ
وَأَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ (٧) وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ
وَجَمِيعُ آيَاتِ الصُّفَاتِ أَمْرُهَا (٨) حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ
وَأَرَدْتُ عَنْهَا (٩) إِلَيَّ نَقَالَهَا (١٠) وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يَتَخَيَّلُ
فَبِحَالِمِنْ نَبَذَ الْقُرْآنَ (١١) وَرَاءَهُ (١٢) وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ
وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ (١٣) وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

(١) في نسخة: [أُفْرِدَ].

(٢) ورد في بعض النسخ [الكريم المنزل]، وبعضها: [العظيم المنزل].

(٣) في نسخة: [عُقِبَتْهَا].

(٤) في نسخة: [الكتاب].

وَأُقَرَّ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي ﴿١١﴾ أَرْجُو بَأْنِي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ
وَكَذَا الصِّرَاطُ يَمْدُ فَوْقَ جَهَنَّمَ ﴿١٢﴾ فَمَسَلَمَ نَاجٍ وَآخَرُ مُهْمَلُ
وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ ﴿١٣﴾ وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى الْجَنَانِ سَيَدْخُلُ
وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ ﴿١٤﴾ عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ
هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ ﴿١٥﴾ وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدُ يُنْقَلُ
فَإِنْ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمَوْفَقٌ ^(١) ﴿١٦﴾ وَإِنْ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعْوَلُ

انتهت القصيدة

(١) في نسخة: [فَمَوْحِدٌ].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا شرحٌ مختصرٌ لنظمٍ عظيمٍ في العقيدة الإسلامية، نظمه جهيدٌ من جهابذة العلم، ألا وهو شيخ الإسلام أحمد ابنُ تيمية الحرَّاني رَحِمَهُ اللهُ، بين فيه عقيدته السلفية التي كان عليها، وجاهد في سبيلها، وحمى حماها، ونشرها في كتبه المطوَّلة والمتوسِّطة والمختصرة.

وهذا الشرح كان ضمن دروس علمية ألقيتها في إحدى دورات الإمام المجدد الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ اللهُ، التي كان يحضرها عدد من طلبة العلم الذين كانوا يأتون من أماكن عديدة؛ رغبة في تحصيل العلم الشرعي، الذي يقود الإنسان بعد توفيق الله تعالى إلى برِّ الأمان ورضا الكريم الرحمن.

وإنِّي لأدعو إخواننا وأبناءنا من طلبة العلم في كل مكان أن يجتهدوا في

تحصيل العلم، والنظر في متونه وشروحه، والتلمذ على أهل العلم السائرين على نهج السلف الصالح في علوم العقيدة والشرعية، وأوصيهم بالاستمرار على ذلك، والتناصح فيما بينهم، والتعاون على كل بر وتقوى، ورفض كل إثم وعدوان؛ ليكونوا حملة علم عدولاً، يحملونه لمن بعدهم نشرًا لدين الله، وبياناً لأحكامه، ومرجعية علمية للناس الذين لا يستغنون في كل زمان ومكان عن صاحب علم شرعي ذي همّة عالية وحكمة هادية، يُعلم الجاهل، ويجلس للسائل، ويفتي المستفتي، ويوجّه وينصح، وهذا هو شأن المصلحين من عباد الله، الذين لهم الجزاء الأوفى عند الله تبارك وتعالى.

وفق الله الجميع لما يرضيه، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه.

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شرح المنظومة

قال ابن تيمية رضى الله:

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي ﴿١﴾ رُزِقَ الْهُدَى مَنْ لِلْهُدَايَةِ يَسْأَلُ

الشرح:

المذهب في اللغة: مصدر ذهب، أي: مضى.

وقوله: (مَذْهَبِي)، أي: ما أذهب إليه في العقيدة، وأعتقده، وأميل إليه.

العقيدة لغة: مأخوذة من العقد، وهو ربط الشيء، واعتقدت كذا:

عقدت عليه القلب والضمير. والعقيدة: ما يدين به الإنسان ربّه، يقال: له

عقيدة حسنة، أي: سالمة من الشك.

وأراد الإمام رضى الله في قصيدته: بيان ما يعتقد ويدين الله به في أبواب

العقيدة الإسلامية: من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم

الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وما تستلزمه هذه الأركان من الأصول

الدينية الاعتقادية والعملية.

وهذا البيت: فيه خطابٌ موجّه للجميع؛ وإن كان ردّاً على سؤال، كما

صَرَّحَ به في البيت، إلا أن مراده كان لعموم من يريد معرفة معتقده ومنهجه في مثل هذه الأبواب المهمة، وهذه من أساليب أئمة السلف الصالح في نشر العلم، وتوضيح مسائل العقيدة الصحيحة وعلوم الشريعة الواسعة الفسيحة. وخلاصة الشطر الأول من البيت الأول هو: الإرشاد والتوجيه من الإمام لكل من يحب أن يعرف مذهبه وعقيدته، فليصنع إلى ما سطره في هذه الأبيات القليلة فيما يتعلق بعقيدته التي أملاها في مؤلفاته العقدية الكثيرة، ولقي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عليها.

والشطر الثاني: فيه دعاءٌ منه رَحِمَهُ بالهداية لمن يسأل ليعلم ويعمل وَيُعَلِّم؛ إذ قال: (رَزَقَ الْهُدَى) وهذه السنة، أي: دعوة الأخ لأخيه المسلم من سنن هذا الدين الحنيف، التي أمرنا الشارع الحكيم أن نستن بها، كما جاء في حديث أم الدرداء وأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلِكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ»^(١)، حيث دل الحديث على أهمية الدعاء للغير وخاصة بالهداية إلى الصراط المستقيم.

وقوله: (الْهُدَى): هو الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه، ولزوم الاستقامة عليه، قال الله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٣٣).

عَنِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَفْصَالَيْنِ ﴿ [الفاتحة: ٦-٧]، الصراط الذي هو دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولقد افتتح بعض أئمة السلف -رحمهم الله- مصنفاتهم بالدعاء، كقولهم: (إِعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ) أو (عَفَرَ اللَّهُ لَكَ) وغيرها من الأدعية لمن يسأل عن المسائل الدينية، سواء كانت عقائد أو مناهج أو عبادات أو معاملات. وكان القصد من وراء السؤال عنها طلب هداية الاسترشاد، ومعرفة الطريق الصحيح في العقيدة وغيرها للعمل به واتباعه، وهذا الدعاء الذي افتتح به شيخ الإسلام منظومته من ذلك.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ ﴿٢٩﴾ لَا يَنْشِئُنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ

الشرح:

ثمَّ شرع بالبيان عن معتقده مبيِّنًا للسائل وغيره أن ما سيسمعه أو يقرؤه في هذه المنظومة هو معتقده الذي لن ينشئ عنه أو يتبدل إن شاء الله، فقال: (اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ ﴿٢٩﴾ لَا يَنْشِئُنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ) وهو وعدُّ منه بأنه سيبيِّن معتقده بالأدلة من الكتاب والسنة، وهذا هو المحقِّق، وهو محقٌّ في قوله؛ لأنه ينطلق من نصوص الكتاب والسنة.

قوله: (لَا يَنْشِئُنِي): لا يرجع عنه.

وقوله: (لَا يَتَبَدَّلُ)؛ لأنه يقول الحقُّ بنصوص شرعية صحيحة صريحة، يبيِّنُها بمعانيها الصحيحة، ولا يتأوَّل شيئًا منها تأويلًا مذمومًا.

ولقد اشتملت هذه المنظومة المباركة على عدَّة مسائل مهمَّة من مسائل المنهج والاعتقاد، وهي على النحو التالي:

قال رَحِمَهُ اللهُ:

حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلُّهُمْ لِي مَذْهَبٌ ﴿٣٠﴾ وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَىٰ بِهَا أَتَوَسَّلُ

الشرح:

✽ هذه هي أولى المسائل التي اشتملت عليها المنظومة: في بيان

مذهب وعقيدة أهل السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم إلى يوم الدين في صحابة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، مع بيان عقائد المخالفين للسلف، كالرافضة الحاكمة على الإسلام وأهله، والخوارج النواصب الذين نصبوا العداوة لأصحاب محمد ﷺ.

وقبل البدء في بيان هذه المسألة لابدَّ من تعريف الصحابي:

فالصحابيُّ هو: من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك، ولو تخلَّل ذلك ردَّة على الأصحَّ.

والأدلة على فضل الصحابة، ووجوب محبتهم، ومشروعية الترضي عنهم كثيرة جدًا من الكتاب والسنة:

فمن القرآن الكريم:

﴿١٩﴾ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنْصُرَهُمْ لَمَّا جَاءُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنْصُرَهُمْ لَمَّا جَاءُوا﴾

أَتَبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٢٠﴾

[التوبة: ١٠٠].

ففي هذه الآية الكريمة دليلٌ على محبة الله تعالى للصحابة الكرام، وخصوصًا السابقين من المهاجرين والأنصار، وأنه قد رضي عنهم، وعن أعمالهم؛ بسبب مؤازرتهم لنبيه ﷺ، وأنهم قد رضوا عنه بما أعدَّ لهم

ووعدهم به من النعيم المقيم والجزاء العظيم.

وإذ كان الأمر كذلك؛ فالواجب على المسلم أن يحبهم، ويعرف قدرهم الذي قد بينه الله في هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات التي ستقف عليها قريباً إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية قوله: يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم.

قال الشعبي: السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية^(١).

وقال أبو موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن سيرين، والحسن، وقتادة: هم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ.^(٢)

(١) رواه سنيد بن داود في "تفسيره" كما في "الاستيعاب" لابن عبد البر (ص ٢١-دار الأعلام)، وسعيد ابن منصور في "تفسيره" (٢٧٠/٥-سعد الحميد)، وابن شبة في "أخبار المدينة" (٢٦٦/١) برقم (٨٥٧ و ٨٥٨-الكتب العلمية)، والطبري (٤٣٦-٤٣٥/١٤) برقم (١٧٠٩٩-١٧١٠٦)، وابن أبي حاتم (١٨٦٨/٦) برقم (١٠٣٠٢)، والسراج في "تاريخه"، كما في "الاستيعاب" لابن عبد البر (ص ١٩-دار الأعلام) وأبو نعيم في "معركة الصحابة" (٨-٧/١) برقم (٦٠ و ٦١) وابن عبد البر في "الاستيعاب" (ص ١٦-دار الأعلام)، وابن أبي شبة وابن المنذر وابن مردويه وأبو الشيخ كما في "الدر المنثور" للسيوطي (٢٦٩/٤).

(٢) قول أبي موسى الأشعري رحمه الله: رواه الطبري في "تفسيره" (٤٣٦/١٤) برقم (١٧١٠٧ و ١٧١٠٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٨٦٨/٦) برقم (١٠٣٠٠)، وأبو نعيم في "معركة الصحابة" (٨/١) برقم (٨)، وأبو الشيخ، كما في "الدر المنثور" (٢٦٩/٤).

وقال محمد بن كعب القرظي: مرَّ عمرُ بنُ الخطابِ بِرَجُلٍ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبِي بَنُ كَعْبٍ. فَقَالَ: لَا تَفَارِقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ بِكَ إِلَيْهِ. فَلَمَّا جَاءَهُ، قَالَ عُمَرُ: أَنْتَ أَقْرَأْتَ هَذَا هَذِهِ الْآيَةَ هَكَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَسَمِعْتَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَنَّا رُفِعْنَا رَفْعَةً لَا يَبْلُغُهَا أَحَدٌ بَعْدَنَا. فَقَالَ أَبِي: تَصْدِيقُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْجُمُعَةِ: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣]، وفي سورة الحشر: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية: ١٠]، وفي الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ

□ = وقول سعيد بن المسيب رواه سنيد بن داود في "تفسيره"، كما في "الاستيعاب" لابن عبد البر (ص ٢١)، وابن شبة في "أخبار المدينة" (٢٦٦/١) برقم (٨٥٦)، والطبري في "تفسيره" (٤٣٧-٤٣٦/١٤) برقم (١٧١١٣-١٧١٠٩)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٨٦٨/٦) برقم (١٠٣٠١)، والسراج في "تاريخه"، كما في "الاستيعاب" لابن عبد البر (ص ١٩)، وأبو نعيم في "معركة الصحابة" (٧/١) برقم (٢ و ٣ و ٤)، وابن عبد البر في "الاستيعاب" (ص ١٦)، وابن المنذر وابن مردويه، كما في "الدر المنثور" (٢٦٩/٤).

□ وقول محمد بن سيرين: رواه سنيد بن داود في "تفسيره" كما في "الاستيعاب" لابن عبد البر (ص ٢١)، والطبري في "تفسيره" (٤٣٧/١٤) برقم (١٧١١٤)، وأبو نعيم في "معركة الصحابة" (٨/١) برقم (٧)، وابن عبد البر في "الاستيعاب" (ص ١٥ و ٢١)، وابن المنذر، كما في "الدر المنثور" (٢٦٩/٤)، وذكره ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٨٦٨/٦).

□ وقول الحسن: رواه ابن المنذر وأبو نعيم كما في "الدر المنثور" (٢٦٩/٤)، وذكره ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٨٦٨/٦).

□ وقول قتادة: رواه عبد الرزاق في "تفسيره" (٢٨٥/٢)، ومن طريقه الطبري في "تفسيره" (٤٣٧/١٤) برقم (١٧١١٥)، وذكره ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٨٦٨/٦).

وَهَاجِرُوا وَجَهْدُوا مَعَكُمْ ﴿[الآية: ٧٥]، إلى آخر الآية.

ورواه ابن جرير^(١) قال: وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأها برفع

الأنصار، عطفًا على ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ﴾.^(٢)

فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فإيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم؛ أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه؛ فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يُعادون أفضل الصحابة، ويبغضونهم، ويسبونهم، عيادًا بالله من ذلك.

وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة! وقلوبهم منكوسة! فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن؛ إذ يسبون من رضي الله عنهم؟! وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله، ويُعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يتدعون، ولهذا هم حزب الله المفلحون، وعبادته المؤمنون. اهـ^(٣)

(١) رواه الطبري في "تفسيره" (٤٣٧-٤٣٨) برقم (١٧١١٦)، ورواه أيضًا في "تفسيره" (٤٣٨/١٤) برقم (١٧١١٧) نحوه. ورواه أبو الشيخ، كما في "الدر المنثور" (٢٦٨/٤).

(٢) "تفسير الطبري" (٤٣٩/١٤).

(٣) "تفسير ابن كثير" (٢٠٣/٤-طية).

﴿٢٥﴾ ومن الأدلة أيضًا على فضل الصحابة، ووجوب محبتهم، ومشروعية

الترضي عنهم: قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى

الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا

سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَنْطُهُمْ فِي

الْإِنْجِيلِ كَرَجَ أَخْرَجَ سَطْرَهُ فَتَازَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ

الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ

مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿[الفتح: ٢٩].

فهذه الآية دليل أيضًا على وجوب معرفة فضل صحابة رسول الله ﷺ، وعظم قدرهم؛ حيث قد نعتهم الله تعالى بأجمل الأوصاف وأفضلها وأكملها، مما يدل دلالة واضحة صريحة على محبة الله لهم، ورضاه عنهم.

وإذ كان الأمر كذلك؛ فإن سب الصحابة وبغضهم أمر لا يرضاه الله، ولا

رسوله ﷺ، ولا أهل الطاعة لله ولرسوله، وهذا واضح من هذه الآية الكريمة

ونظائرها، كما سيأتي في تفسيرها؛ حيث قال ابن كثير رحمته الله في تفسير هذه

الآية: يخبر تعالى عن محمد ﷺ أنه رسوله حقًا بلا شك ولا ريب، فقال:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، وهذا مبتدأ وخبر، وهو مشتمل على كل وصف جميل، ثم

ثنى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

يَنَّهُمْ ﴿١﴾، كما قال ﷺ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: من الآية ٥٤]، وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفاً على الكفار، رحيماً براً بالأخيار، غضوباً عبوساً في وجه الكافر، ضحوكاً بشوشاً في وجه أخيه المؤمن؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: من الآية ١٢٣]، وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»^(١)، وقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، وشبك ﷺ بين أصابه^(٢) كلا الحديثين في «الصحيح».

وقوله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سَجَدًا يَتَعَوَّنَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، وصفهم بكثرة العمل، وكثرة الصلاة؛ وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله ﷻ والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب، وهو الجنة المشتملة على فضل الله ﷻ، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه تعالى عنهم؛ وهو أكبر من الأول، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: من الآية ٧٢].

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٦٥)، ومسلم برقم (٢٥٨٦) واللفظ له، من حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٥)، من حديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه.

وقوله جَلَّ جلاله: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ يعني: السمت الحسن^(١)، وقال مجاهد وغير واحد: يعني: الخشوع والتواضع^(٢). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة، عن منصور، عن مجاهد: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، قال: الخشوع. قلت: ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه! فقال: ربما كان بين عيني من هو أقسى قلباً من فرعون^(٣). وقال السدي: الصلاة

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» - «مختصر المقرئ» - (ص ٥٢)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٢/٢٦٤)، والبيهقي في «السنن» (٢/٢٨٦)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/٥٤١-٥٤٢).

(٢) قول مجاهد رواه سفيان الثوري في «تفسيره» (ص ٢٧٨) برقم (٨٩٩)، وابن المبارك في «الزهد» (٥٦) برقم (١٧٤)، ووكيع في «الزهد» (٢/٥٩٨) برقم (٣٢٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣/٢٨٨)، ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (ص ٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/٢٦٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/٢٨٢)، وابن بشران في «الأمالي» (١٣٩) برقم (٣٠٥)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/٣١٣)، وعبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» (٧/٥٤٢).

□ ورواه ابن نصر في «قيام الليل» (ص ٥٢) عن طاووس مثله.

(٣) وذكره ابن حجر في «الفتح» (٨/٥٨٢)، وعزاه لعبد بن حميد أيضاً.

□ ورواه وكيع في «الزهد» (٢/٥٩٨) برقم (٣٢٧) عن سفيان عن منصور، عن مجاهد، قال: ليس بهذا الأثر الذي في الوجه، ولكنها الخشوع.

□ ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/٢٦٤)، والبيهقي في «سننه» (٢/٢٨٧)، من طريق جرير، عن منصور، قال: قُلْتُ لِمَجَاهِدٍ: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أَهْوَ أَثَرُ السُّجُودِ فِي وَجْهِ الْإِنْسَانِ؟ فَقَالَ: لَا، إِنَّ أَحَدَهُمْ يَكُونُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مِثْلُ رُكْبَةِ الْعُزْرِ وَهُوَ كَمَا شَاءَ اللَّهُ - يَعْنِي مِنْ

تحسَّن وجوههم. وقال بعضُ السلف: من كثرت صلواته بالليل حسُن وجهه بالنهار^(١)....

وقال بعضهم: إن للحسنة نورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وسعةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الناس^(٢).

وقال أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما أسرَّ أحدٌ سريرة إلا أباهاها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه. والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى، أصلح الله ﷻ ظاهره للناس؛ كما روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى عِلَانِيَتَهُ....

إِلَّا أَنْ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: ... ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك -رحمة الله عليه- في رواية عنه، تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ قال: لأنهم

= الشَّرُّ، وَلَكِنَّهُ الْخُشُوعُ.

(١) يذكر عن شريك بن عبد الله النخعي القاضي رَحِمَهُ اللهُ، انظر «المجروحين» لابن حبان (٢٠٧/١) و(١٤٢/٢)، و«الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي (٩٩/٢)، و«المدخل إلى كتاب الإكليل» للحاكم -دار الدعوة- (ص ٦٣-٦٤)، و«الإرشاد في معرفة علماء الحديث» للخليلي (١/١٧٠-١٧١ - تجزئة السلفي) و«ذخيرة الحفاظ» لابن طاهر المقدسي (٤/ ٢٣٩٠-٢٣٩١ - الفريوائي).

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «الاستقامة» (١/ ٣٥١ - محمد رشاد)، وفي «الجواب الصحيح» (٦٨٩/٤ - العاصم)، وهو في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٣٠)، والعلامة ابن القيم في «الداء والدواء» (ص ٣٥ - الكتب العلمية)، وفي «الوابل الصيب» (ص ٤٣ - الكتاب العربي)، و«مدارج السالكين» (١/ ٤٢٣-٤٢٤ - الفقي)، و«روضة المحبين» (ص ٤٤١ - الكتب العلمية)، من قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فهو كافر؛ لهذه الآية^(١). ووافقه طائفة من العلماء رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ على ذلك، والأحاديث في فضل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والنهي عن التعرُّض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاء عنهم^(٢). اهـ

﴿٢٩﴾ ومن الأدلة التي جاءت صريحة في وجوب محبة أصحاب النبي ﷺ، وبيان ما لهم من الفضل، وتجريم من تنقصهم أو تنقص واحداً منهم، ذكرًا كان أو أنثى، قولُ الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ نَفْسُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

فقد جاءت هذه الآيات في مدح المهاجرين والأنصار، وبيان نصرتهم لله

(١) رواه الخلال في «السنة» (٢/ ٤٧٨) برقم (٧٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٧)، ومن طريقه الضياء المقدسي في «النهي عن سبِّ الأصحاب» (١٣٦) برقم (٣٣-المزيدي)، وذكره ابن السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٢١١)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٢٨-طيبة) و«شرح السنة» (١/ ٢٢٩)، والقرطبي في تفسيره «لجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٢٩٦-٢٩٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» باختصار (٧/ ٣٦٠-٣٦٢).

ولرسوله ﷺ، ممَّا يدلُّ دلالة صريحة على وجوب محبتهم، وعدم تنقصهم، ومعرفة قدرهم وفضلهم.

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات: يقول تعالى مبينًا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، أي: خرجوا من ديارهم، وخالفوا قومهم؛ ابتغاء مرضاة الله ورضوانه، ﴿وَيَبْتَغُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، أي: هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم، وهؤلاء هم سادات المهاجرين. ثم قال تعالى مادحًا للأنصار، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم، وعدم حسدهم وإيثارهم غيرهم مع الحاجة، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين، وآمنوا قبل كثير منهم. قال عمر: وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم كرامتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل، أن يقبل من محسنينهم وأن يعفو عن مبغضينهم^(١). رواه البخاري ههنا أيضًا.

قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، أي: من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين، ويؤاسونهم بأموالهم؛ قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد،

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٨٨)، لكن سقط من متن الحديث عند ابن كثير: أن يهاجر النبي ﷺ. بعد قوله: من قبل.

حدثنا حميد، عن أنس، قال: قَالَ الْمُهَاجِرُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَوْمٍ قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ مُوَاسَاةٍ فِي قَلِيلٍ! وَلَا أَحْسَنَ بَذْلًا فِي كَثِيرٍ! لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤَنَةَ، وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَةِ، حَتَّى لَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ! قَالَ: «لَا، مَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ وَدَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ...»^(١).

إِنَّ اللَّهَ أَنْ قَالَ رَحِمَهُ: وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء؛ وهم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم التابعون لهم بإحسان؛ كما قال في آية براءة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقَبْلَةِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: من الآية ١٠٠]، فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لأنصارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية؛ ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾، أي: قائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

(١) رواه أحمد (٣/ ٢٠٠ و ٢٠٤)، والترمذي برقم (٢٤٨٧)، من طرق عن حميد عن أنس به. قال الترمذي: حسن صحيح غريب.

□ ورواه أبو داود برقم (٤٨١٢)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٥٣) برقم (١٠٠٠٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٥) برقم (٢١٧)، والبخاري (١٣/ ٣٤٩) برقم (٦٩٧٨)، والحاكم (٢/ ٧٢) برقم (٢٣٦٨)، عن حماد عن ثابت عن أنس نحوه تامًا ومختصرًا.

وَلَاخُونَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا، أي: بغضا وحسداً
لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن
الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب؛ لعدم اتصافه بما
مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. (١)

(١) رواه الحميدي في «أصول السنة» - حسين سليم أسد - (٣٥٩/٢) - آخر المسند) عن غير واحد عن
مالك.

□ وقد رواه الجوهري في «مسند الموطأ» (١١١-١١٢) برقم (٨٥)، والبيهقي في «السنن»
(٣٧٢/٦)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص ٣٦)، واللالكائي
في «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٢٦٨-١٢٦٩) برقم (٢٤٠٠)، وابن عساكر في
«تاريخ دمشق» (٣٩١/٤٤) عن معن بن عيسى عن مالك.

□ ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٣٢٧/٦)، وأبو طاهر السلفي في «الطوحيات» (٨٩) برقم (٦٩)
عن سوار بن عبد الله عن أبيه عن مالك.

□ ورواه الجوهري في «مسند الموطأ» (١١١) برقم (٨٤) عن ابن القاسم عن مالك مختصراً.
□ وذكره القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٩٠/١) - الكتب العلمية) من رواية مصعب
الزيري وعبد الله بن نافع عن مالك، في قصة مع هارون الرشيد.

□ ورواه ابن أبي زمنين في «أصول السنة» (٢٦٩) برقم (١٩٠) - رياض الجنة) عن أبي جعفر
الأبلي عن مالك مختصراً. ولفظ معن بن عيسى، قال: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: مَنْ سَبَّ
أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَيْسَ لَهُ فِي الْفِيءِ حَقٌّ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ
أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُنْفَقُونَ فَمُضَاهٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ الآية، هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ
الَّذِينَ هَاجَرُوا مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ الآية، هؤلاء الأنصار، ثُمَّ قَالَ:
﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، قَالَ مَالِكُ: فَاسْتَنْتَى اللَّهَ ﷻ، فَقَالَ: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ

وقال إسماعيل بن علية عن عبد الملك بن عمير، عن مسروق، عن
عائشة قالت: أُمِرْتُمْ بِالِاسْتِغْفَارِ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَسَبَّيْتُمُوهُمْ! سَمِعْتُ
نَبِيَّكُمْ ﷺ يَقُولُ: «لَا تَذْهَبْ هَذِهِ الْأُمَّةُ حَتَّى يَلْعَنَ آخِرُهَا أَوَّلَهَا» رواه
البغوي. (١)

إِلَّا أَنْ قَالَ... وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا أبو ثور،
عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة بن خالد، عن مالك بن أوس بن الحدثان
قال: قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ حتى بلغ

لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ الآية، فَأَلْفَيْ لَهُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ، فَمَنْ سَبَّ أَصْحَابَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَيْسَ هُوَ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَلَا حَقُّ لَهُ فِي الْفِيءِ.

(١) رواه الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» (٢٨٢/٩)، ومن طريقه البغوي في «معالم التنزيل»
(٨/٧٩-٨٠)، من طريق محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه عن إسماعيل بن إبراهيم به.

□ ورواه الطبراني في «الأوسط» (٢٥٤-٢٥٥) برقم (٥٢٤١)، وابن عساكر في «تبيين كذب
المفتري» (٤٢٠-٤٢١)، من طريقين عن ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم -وزادا: ابن
مهاجر- عن عبد الملك بن عمير به نحوه.

□ ورواه الأجرى في «الشرعة» (٢٤٩٧-٢٤٩٨) برقم (١٩٨٨) عن إبراهيم بن الهيثم الناقد
عن أبي معمر القطيعي عن ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر به، نحوه، إلا أنه
سقط من إسناده مسروق.

فقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: (وقال إسماعيل بن علية) يظهر أنه وهم منه؛ فقد ظن أن إسماعيل
ابن إبراهيم هو ابن علية؛ إذ لم يذكر في رواية البغوي اسم جده، والله أعلم.

وعليه فالإسناد ضعيف؛ لحال إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر؛ لاسيما وقد اضطرب في
إسناده، لكن قول عائشة رضي الله عنها الموقوف له طريق أخرى صحيحة؛ فقد أخرجه مسلم في «صحيحه»
برقم (٣٠٢٢)، من طريق هشام بن عروة عن أبيه، قال: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أَخْتِي، أُمِرُوا أَنْ
يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَبَّوهُمْ!

﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ لَهُؤَلَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الآية: ٤١ من سورة الأنفال]، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ لَهُؤَلَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ٧-١٠]، ثُمَّ قَالَ: اسْتَوْعَبْتَ هَذِهِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، وَلَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا لَهُ فِيهَا حَقٌّ، ثُمَّ قَالَ: لَكِنَّ عِشْتَ لِيَأْتِيَنَّ الرَّاعِي وَهُوَ بِسَرٍ وَحَمِيرٍ نَصِيْبُهُ فِيهَا، لَمْ يَعْرِفْ فِيهَا جَبِيْنُهُ. (١) (٢) اهـ

ومن نصوص السنة المطهرة التي جاءت صريحة في وجوب محبة أصحاب النبي ﷺ، وبيان ما لهم من الفضل، وتجريم من تنقصهم، أو

(١) رواه الطبري في "تفسيره" (٢٣/٢٧٦) ومن طريقه الثعلبي في "الكشف والبيان" (٩/٢٧٦).

□ ورواه عبد الرزاق في "تفسيره" (٣/٢٨٣-٢٨٤)، ومن طريقه البغوي في "معالم التنزيل" (٣/٣٦٢) وفي "شرح السنة" (١١/١٣٨)، عن معمر به نحوه.

□ وتابع معمرًا عن أيوب حماد بن زيد وإسماعيل بن عُلَية وعبد الرحمن بن الأصم؛ فرواية حماد أخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٣/٣٠٦-٣٠٧)، والبيهقي في "السنن" (١/٣٥١)، من طريقين عنه.

□ ورواية ابن علية أخرجه النسائي برقم (٤١٤٨).

□ ورواية عبد الرحمن بن الأصم أخرجه ابن زنجويه في "الأموال" (١/١٠٨-١٠٩) برقم (٨٤).

والحديث صححه الألباني في "الإرواء" (١٢٤٥).

(٢) "تفسير ابن كثير" باختصار (٨/٦٨-٧٤).

تنقص واحدًا منهم، ذكرًا كان أو أنثى ما يلي:

(١) ما ثبت عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛

فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ

(صَلَامَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيْفَهُ». (١) (صَلَامَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (صَلَامَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

(٢) وما ثبت عن أنس بن مالك قال: قَالَ أَنَسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ

ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نُسَبُّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَبَّ

أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ

صَرَفًا وَلَا عَدْلًا». (٢)

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٥٤١).

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في "زوائد على فضائل الصحابة" (١/٦١-٦٢) برقم (٨- ابن الجوزي، ط ٢)، والمحامي في "الأمالي" (٩٧) برقم (٥٤)، والخلال في "السنة" (٣/٥١٥) برقم (٨٣٣)، والطبراني في "الدعاء" (٥٨١) برقم (٢١٠٨)، والآجري في "الشرعية" (٥/٢٥٠٢-٢٥٠٣) برقم (١٩٩٤ و ١٩٩٥)، وابن عدي في "الكامل" (٥/٢١٢)، والسهمي في "تاريخ جرجان" (٢٧٤) برقم (٤٥٦)، وأبو بكر الخطيب البغدادي في "الفوائد المتخبة" - المهر وانيات - (١٣٠-١٣١) برقم (٦٣)، وفي "تاريخ بغداد" (١٤/٢٤١)، من طريق علي بن يزيد الصدائي عن أبي شيبه الجوهري عن أنس به.

قال ابن عدي: علي بن يزيد هذا أظنه بصريًا، أحاديثه لا تشبه أحاديث الثقات، إما أن يأتي بإسناد لا يتابع عليه، أو بمتن عن الثقات منكرو، أو يروي عن مجهول.

وقال الخطيب: هذا حديث غريب من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ تسليمًا، تفرد بروايته أبو شيبه الجوهري عنه، ولا يعلم رواه عن أبي شيبه غير علي بن يزيد الصدائي.

وأبو شيبه الجوهري؛ قال البخاري وأبو حاتم: عنده عجائب.

وقال ابن حبان: يروي عن أنس ما ليس من حديثه، لا تحل الرواية عنه.

وما ثبت عن عطاء - يعني ابن أبي رباح - قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَفِظَنِي فِي أَصْحَابِي كُنْتُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَافِظًا، وَمَنْ سَبَّ أَصْحَابِي فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزَوُ فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: فَيَكُمُ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزَوُ فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، فَيَغْزَوُ فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ

انظر: "ميزان الاعتدال" للذهبي (١٦٢/٣)، (٤٦١/٤).

وفي الباب عن ابن عباس وعمر، ولا يصحان. انظر: حاشية "محقق فضائل الصحابة" للإمام أحمد (١/٦١). وعن عطاء بن أبي رباح مرسلاً؛ وسيأتي تخريجه قريباً. قال الألباني في "ظلال الجنة في تخريج السنة" (٤٨٣/٢): وللحديث بعض الشواهد الموصولة المسندة ومن أجلها أوردت الحديث في "الصحيح" (٢٣٤٠).

(١) رواه أحمد في "فضائل الصحابة" (٦٣-٦٤) برقم (١٠ و١١)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (١٧٩/١٢)، والبخاري في "الجمعيات" (٢٠١٠)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٠٠١)، من طريق فضيل بن مرزوق عن محمد بن خالد الضبي -وعند البخاري: محمد بن أبي مرزوق- عن عطاء به. قال الألباني في "ظلال الجنة في تخريج السنة" (٤٨٣/٢): مرسل صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، غير محمد بن خالد وهو الضبي، الملقب بسؤر الأسد، وهو صدوق. انظر: "الصحيح" له، برقم (٢٣٤٠).

صَاحِبَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ»^(١).

وعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» - قال عمران: فلا أدري أذكرَ بَعْدَ قُرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْدُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ»^(٢). وله من المأثورات والروايات روى عنه

وما ثبت عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءُ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَنَا أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»^(٣).

وبين الصحابة فضلهم وشرفهم؛ حيث قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي يَمُوتُ بِأَرْضٍ إِلَّا بُعِثَ قَائِدًا وَنُورًا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

من هذه الأدلة التي جاءت صريحة في فضائل الصحابة أخذ الأسلاف

الصالحون منهم تجاه الصحابة الكرام، ومنهم صاحب المنظومة التي

أصلها من بيت أبي حمزة الثمالی

(١) رواه البخاري برقم (٣٤٤٩)، ومسلم برقم (٢٥٣٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٥٠)، ومسلم برقم (٢٥٣٥).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٥٣١)، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه الترمذي برقم (٣٨٦٥)، من حديث ابن بريدة عن أبيه. وقال: حديث غريب. وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ أَبِي طَيْبَةَ عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا، وَهُوَ أَصَحُّ.

نحن بصددنا، حيث بين بأن منهجه وعقيدته في الصحابة هو حبهم،
والترضي عنهم، ومعرفة فضلهم على غيرهم من الناس، والسكوت عما
شجر بينهم وعدم سبهم وعدم بغضهم.

قال رحمه الله:

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ سَاطِعٌ ﴿٤﴾ لَكِنَّا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

المسألة الثانية من المسائل التي اشتملت عليها المنظومة: جاءت

في بيان فضل الصحابة عموماً، وبيان تفاضلهم فيما بينهم، غير أنهم
ليس فيهم دنيء.

حقاً إن من منهج أهل السنة والجماعة أن الصحابة الكرام بعضهم
أفضل من بعض، وأن هذا التفضيل لا يدل على نقص في المفضول، بل كل
واحد منهم على جانب عظيم من الفضل والصفات الحميدة، كما فضل الله
الرسول -عليهم الصلاة والسلام- بعضهم على بعض، حيث قد قضى أن
يكون بعضهم أفضل من بعض؛ كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٣]، وهكذا أصحاب النبي ﷺ بعضهم أفضل من
بعض، ^{١٦} حكمة من الله وعدلاً، ورحمة منه وإحساناً وفضلاً.

ويعتقد أهل السنة أن أفضلهم على الإطلاق صاحب رسول الله ﷺ في
الغار أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي ذو
السطين رضي الله عنهم أجمعين؛ وذلك لدلالة النصوص على ذلك، وإجماع
من يعتد بإجماعهم من أهل العلم، وقد قلت في منظومتي «الفروق»:

وَحَيْرَةُ الْأَصْحَابِ أَيُّ صَحْبِ النَّبِيِّ كَأَمْحَسَنِ الصِّدِّيقِ فَارُوقَ أَخِي
يَلِيهِمَا عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ ثُمَّ عَلِيٌّ وَالِدُ السُّبْطَيْنِ

ويأتي في الفضل من بعدهم بقيَّةُ العشرة المبشرين بالجنة، وهم طلحة^(١)، والزبير^(٢)، وعبد الرحمن بن عوف^(٣)، وأبو عبيدة بن الجراح^(٤)، وسعد بن أبي وقاص^(٥)، وسعيد بن زيد^(٦) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ يليهم

(١) الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني أبو محمد، شجاع من الأجواد، أسلم قديماً، وكان يقال له: طلحة الجود، وطلحة الخير، وطلحة الفياض، شهد أخذًا، وثبت مع رسول الله ﷺ، وبإيعه على الموت، وشهد الخندق وسائر المشاهد، استشهد يوم الجمل سنة (٣٦هـ). انظر: «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٢٨ - ٩٢٩)، بتحقيق وصي الله عباس - الحاشية (١) - و«تهذيب تاريخ ابن عساکر» (٧/ ٧١).

(٢) هو الصحابي الجليل الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي، أبو عبدالله، حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، الصحابي الشجاع المقدم، هو أول من سلَّ سيفه في الإسلام، شهد بدرًا وأخذًا وسائر المشاهد، قتله ابنُ جرموز غيلة بعد الجمل بوادي السباع في جمادى الأولى سنة (٣٦هـ). انظر: «فضائل الصحابة» (٢/ ٩١٤) الحاشية (١).

(٣) هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أبو محمد، من أكابر الصحابة، وهاجر الهجرتين، كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة أو عبد عمرو فسماه الرسول بعبد الرحمن، توفي سنة (٣٢هـ)، رضي الله عنه وأرضاه. انظر: «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٠٨) الحاشية (١).

(٤) هو الصحابي الجليل عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب، ويقال: وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري، المشهور بكنيته أبي عبيدة بن الجراح، الصحابي السابق إلى الإسلام، شهد المشاهد كلها، لقبه النبي ﷺ بأمين هذه الأمة، توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بطاعون عمواس بالشام سنة (١٨هـ)، رضي الله عنه وأرضاه. انظر: «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٢٢) الحاشية (١).

(٥) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق، الصحابي الجليل، أسلم وعمره ١٧ سنة، وشهد بدرًا، كان مستجاب الدعوة بدعوة المصطفى ﷺ له: «اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ»، مات سنة (٥٥هـ)، رضي الله عنه وأرضاه. انظر: «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٣٥) - الحاشية (٤) - و«أسد الغابة» (٢/ ٢٩٠).

(٦) هو الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أبو الأعور، من خيار الصحابة، هاجر إلى المدينة، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ولد بمكة سنة ٢٢ قبل الهجرة =

المهاجرون^(١)، ثم الأنصار، ثم بعد ذلك أهل بدر^(٢)، ثم أهل بيعة الرضوان^(٣)، ثم من أسلم من قبل الفتح وقاتل، ثم من أسلم من بعد الفتح

المدينة، الهجرة

= وتوفي بالمدينة سنة (٥١هـ). انظر: «الأعلام» للزركلي (٣/ ٩٤).

(١) المهاجرون: هم من هاجروا من بلادهم إلى الحبشة خوفًا على دينهم وأنفسهم. والهجرة في عهد النبي ﷺ كانت هجرتين:

الأولى: الهجرة إلى الحبشة وهي على مرحلتين. المرحلة الأولى: كان عدد المهاجرين فيها اثني عشر رجلًا، وأربع نسوة، ومنهم عثمان بن عفان وزوجته رُقِيَّة بنتُ رسول الله ﷺ، فأقاموا في الحبشة في أحسن حال. فلما وصل خبرهم إلى مكة، بدأت المرحلة الثانية من المهاجرين للهجرة، وكان عددهم في هذه المرحلة ثلاثة وثمانون رجلًا، وثمان عشرة امرأة.

والهجرة الثانية: هي من مكة إلى المدينة، أولهم فيما قيل: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وقيل: مصعب بن عمير، فقدموا على الأنصار في دورهم، فأوَّوهم، ونصروهم، وفشا الإسلام بالمدينة، ثم أذن الله لرسول الله ﷺ في الهجرة، فخرج من مكة يوم الاثنين في شهر ربيع الأول، وقيل: في صفر، وله إذ ذاك ثلاث وخمسون سنة، ومعه أبو بكر الصديق، وعامرُ بن فُهَيْرَة مولى أبي بكر، ودليلهم عبد الله بن الأرنؤيط اللبني. «زاد المعاد» (١/ ٩٧-٩٨ و ١٠١) بتصرف واختصار.

وقيل: المهاجرون والأنصار هم من أدرك بيعة الرضوان عام الحديبية. قاله الشعبي، وقيل: هم الذين صلوا إلى القبلتين مع النبي ﷺ. قاله سعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة، راجع «الاستيعاب» لابن عبد البر (ص ١٦٥).

(٢) بدر موقع في المدينة، وقعت فيه معركة بدر الكبرى في السابع عشر من رمضان سنة ثنتين من الهجرة، وسبب هذه الغزوة لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلًا من الشام، ندب المسلمين إليهم، وقال: «هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها، لعل الله ينفلكموها»، وانتصر المسلمون في هذه المعركة انتصارًا عظيمًا.

(٣) تسمى هذه البيعة بيعة الرضوان وبيعة الشجرة، وسبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ، قال حين بلغه أن عثمان قد قُتل: «لا نبزح حتى نناجز القوم»، ف دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة. وأن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان: أبو سنان الأسدي، وكانت هذه البيعة سنة ست للهجرة النبوية. «سيرة ابن هشام»، بتصرف واختصار (ص ٢٧٩).

وقاتل، ثم بقية الصحابة، وأن كل واحد منهم على فضل عظيم وجانب من الخير كبير.

وفيما يلي أيها القارئ الكريم سأورد بعضاً من فضائل الخلفاء الأربعة الراشدين، وكذلك بعضاً من فضائل بعض الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فضع عصا الترحال عندها، واستفد من فضائلهم الجليلة ومناقبهم الجميلة، وسر على آثارهم النبيلة، واصدق في محبتهم تحشروا في زمريهم؛ فإن المرء مع من أحب يوم القيامة:

فمن فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي وردت بها النصوص الشرعية:

من القرآن الكريم:

﴿قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣].

﴿قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣].

(١) هو الصحابي الجليل عبدالله بن أبي قحافة، عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصديق، أول الخلفاء الراشدين، ولد بعد عام الفيل بستين وستة أشهر بمكة، كان من سادات قريش، وغنياً من موسريهم، عالماً بأنساب القبائل وأخبارها، وكان يلقب بعالم قريش، هو أول من آمن بالنبي ﷺ من الرجال ورفيقه ومؤنسه في الهجرة، ثاني اثنين إذ هما في الغار، أفضل الأمة وخيرها بعد النبي ﷺ، شهد المشاهد كلها، بوجع له بالخلافة بعد وفاة النبي ﷺ سنة (١١هـ)، فحارب المرتدين ومانعي الزكاة، وافتتحت في إمارته الشام وقسم كبير من العراق، كان أبيض، نحيفاً، خفيف العارضين، معروق الوجه، ناتع الجبهة، جعداً، مشرف الوركين، خطيباً لسناً، عارفاً بوجوه الكلام، شجاعاً، توفي لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة (١٣هـ) وهو ابن ٦٣ سنة، خلفته سنتان وثلاثة أشهر وعشرون يوماً. انظر: "فضائل الصحابة" (١/ ٧٦-٧٧) للإمام أحمد - الحاشية (١)، و"أسد الغابة" (٣/ ٢٠٥).

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ نَبِيِّهِ ﷺ وَحَقِّ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِذَا هُمَا فِي الْغَارِ: ﴿إِلَّا

تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ

إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا

وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ

هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: من الآية ٤٠].

ومن السنة المطهرة ما يلي:

﴿مَا ثَبَتَ عَنْ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ عَازِبٍ رَحْلاً

بِثَلَاثَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ: مُرِ الْبَرَاءَ فَلْيَحْمِلْ إِلَيَّ

رَحْلِي. فَقَالَ عَازِبٌ: لَا، حَتَّى تُحَدِّثَنَا كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ

ﷺ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ، وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ؟ قَالَ: إِرْتَحَلْنَا

مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا - أَوْ: سَرَيْنَا - لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ

الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصْرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلِّ قَاوِي إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ،

أَتَيْنَاهَا فَظَلَّتْ بَقِيَّةَ ظِلِّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ قَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ

لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا

حَوْلِي هَلْ أَرَى مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى

الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ.

قَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ. سَمَاءُ، فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي عَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَبَنًا لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ صَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ: هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالْأُخْرَى، فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَافَقْتُهُ قَدْ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بَلَى»، فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرَ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ ابْنِ جُعْشَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» (١).

وَأَيْضًا مَا ثَبَتَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي» (٢).

أَمَّا الْمَرْوِيُّ الْمَدِينِيُّ فَقَالَ: «أَنْ أَبَا بَكْرٍ حَدَّثَهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهَوِيَ الْغَارِ - وَقَالَ مَرَّةً: وَنَحْنُ فِي الْغَارِ - لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرْنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٥٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٥٦).

ثَالِثُهُمَا؟! (١).

وما رواه أبو هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: وَهَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. (٢)

وعن الحكم قال: سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا، قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ: عُمَرُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ عُمَرَ؟ فَقَالُوا: بَلَى. فَسَكَتَ! (٣).

(١) رواه أحمد (٤/١) واللفظ له، والبخاري برقم (٣٩٢٢) و(٣٦٥٣) و(٤٦١٣)، ومسلم برقم (٢٣٨١)، والترمذي برقم (٣٠٩٦) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا يُعْرَفُ مِنْ حَدِيثِ هَمَّامٍ تَفَرَّدَ بِهِ. وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ هَمَّامٍ نَحْوَ هَذَا.

(٢) رواه أحمد (٢٥٣/٢)، وابن ماجه برقم (٩٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٣/١٥-٢٧٤) برقم (٦٨٥٨) وغيرهم، من طرق عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٨٨/٦)، تحت رقم (٢٧١٨).

(٣) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (٩٥/١) برقم (٤٤)، وابنه عبد الله في «السنن» (٥٨٣-٥٨٤) برقم (١٣٧٨ و١٣٧٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٩٨-١٩٩)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٣٢٧/٧) برقم (٢٥٢٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٨/٣٠) و(٤٤/٢٠١-٢٠٢ و٢٠٨). قال أبو نعيم: صحيح مشهور من حديث شعبة عن الحكم. قال

محقق «الفضائل» الشيخ وصي الله عباس: إسناده صحيح

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «مَنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» (٣٠٨/١-قروطة): وقد تواتر عنه =

٤٦ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».^(١)

ومن فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ^(٢):

٤٧ ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «جُعِلَ الْحَقُّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ».^(٣)

= أي: علي رضي الله عنه - أنه كان يقول على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر. روي ذلك عنه من أكثر من ثمانين وجهًا، ورواه البخاري وغيره؛ ولهذا كانت الشيعة المتقدمون كلهم متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر، كما ذكر ذلك غير واحد. وانظر: «مجموع الفتاوى» له (٤/٤٠٧ و ٤٢٢ و ٤٧٣/٢٨) و (١٨٥ و ١٢٤/٣٥)، انظر «فضائل الصحابة» (١/٢٩٩).

(١) رواه مسلم برقم (١٠٢٨).

(٢) هو الصحابي الجليل عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين الفاروق ثاني الخلفاء الراشدين، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرفهم، دخل في الإسلام قبل الهجرة بخمس سنين، استشهد رضي الله عنه بيد أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة غيلة وهو في الصلاة سنة (٢٣هـ).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المُسْنَد» (٢/٤٠١)، وفي «فضائل الصحابة» حديث رقم (٣١٥)، وإسناده حسن.

وهذا الحديث رواه بلفظه ومعناه أبو هريرة وابن عمر وأبو ذر رضي الله عنهم جميعًا.

٤٨ وما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ. فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبَ قَصْرِ. فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ. فَقُلْتُ مُذِيرًا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا أَبَايَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْكَ آغَارٌ؟»^(١)

٤٩ وما جاء أيضًا أن محمد بن سعد بن أبي وقاص أخبره؛ أن أباه سعدًا قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمُهُ وَيَسْتَكْثِرُهُ، عَالِيَةً أَصَوَاتُهُنَّ. فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ فَمَنْ يَبْتَدِرُنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ. فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي. فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ» قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَهْبَنَ. ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَدَوَاتٍ أَنْفُسِهِنَّ! أَتَهَبْنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ. أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفْظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».^(٢)

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٨٠)، ومسلم برقم (٢٣٩٥) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٨٣)، ومسلم برقم (٢٣٩٦) واللفظ له.

وما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم أريت أني أنزع على حوضي أسقي الناس. فجاءني أبو بكر فأخذ الدلو من يدي ليروحي، فنزع دلوين، وفي نزعِهِ ضعفٌ، والله يغفر له. فجاء ابن الخطاب فأخذ منه. فلم أر نزع رجل قط أقوى منه، حتى تولى الناس، والحوض ملآن يتفجر»^(١).

ما جاء أن رسول الله ﷺ خرج لإحدى الغزوات فنذرت جارية إن عاد رسول الله لتضربن عليه بالدف ولتغني، فلما رجع رسول الله عليه الصلاة والسلام قالت: يا رسول الله إني نذرت إن سلمك الله أن أضرب عليك بالدف وأتغني، قال: إن كنت نذرت فافعلي فشرعت تضرب في الدف، دخل أبو بكر وهي تضرب، دخل عثمان وهي تضرب، دخل علي وهي تضرب، فدخل عمر فوضعت الدف تحت استها وجلست عليه. قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر!»^(٢).

وعن الشعبي عن وهب السوائي قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: من خير هذه الأمة بعد نبيها؟ فقلت: أنت يا أمير المؤمنين، قال: لا، خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، وما نبعد أن السكينة تنطق

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٨٢) وبرقم (٧٠٢٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم برقم (٢٣٩٢) واللفظ له.
(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" (٨٣٤- الرسالة)، وفي السنة (٥٨٢/٢) برقم (١٣٧٤) وفي "زوائد على فضائل الصحابة" (١٠٠/١-١٠١) برقم (٥٠)، وحسن إسناده محقق "الفضائل".

على لسان عمر رضي الله عنه.^(١)

وما جاء من حديث حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم، إذ رأيت قدحا أتيت به، فيه لبن. فشربت منه حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري. ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب»، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم»^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون؛ فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم»، قال ابن وهب: تفسير «محدثون»: ملهون^(٣).
ومن فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه:^(٤)

ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعا في

(١) أخرجه الإمام أحمد في "فضائل الصحابة" (٩٥/١) برقم (٤٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٨٢) و(٣٦٨١) و(٧٠٠٢) وفي مواضع أخرى، ومسلم برقم (٢٣٩١) واللفظ له.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٣٩٨).

(٤) هو الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أمير المؤمنين، ذو النورين، صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه، ثالث الخلفاء الراشدين، ولد بمكة، وأسلم بعد البعثة بقليل، وكان غنيا شريفا في الجاهلية، ومن أعظم أعماله تجهيز جيش العسرة بماله، أتم جمع القرآن وجمع المسلمين على مصحف واحد، استشهد وهو يقرأ القرآن صبيحة عيد الأضحى سنة (٣٥هـ). انظر: "فضائل الصحابة" (٥٤٧/١) الحاشية رقم (١)، و"أسد الغابة" (٣٧٦/٣).

بني، كاشفاً عن فحذيه، أو ساقيه. فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث. ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث. ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ، وسوى ثيابه - قال محمد: ولا أقول: ذلك في يوم واحد - فدخل فتحدث، فلما خرج، قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له، ولم تباله. ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله. ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟»^(١)

وما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: بينما رسول الله ﷺ من حائط المدينة، وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين، إذ استفتح رجل. فقال: «افتح، وبشره بالجنة»، قال: فإذا أبو بكر، ففتحت له وبشرته بالجنة. قال: ثم استفتح رجل آخر. فقال: «افتح وبشره بالجنة»، قال: فذهبت فإذا هو عمر. ففتحت له وبشرته بالجنة. ثم استفتح رجل آخر. قال: فجلس النبي ﷺ، فقال: «افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون»، قال: فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان. قال: ففتحت وبشرته بالجنة. قال: وقلت الذي قال. فقال: اللهم صبراً، أو الله المستعان.^(٢)

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٠١).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٩٣)، ومسلم برقم (٢٤٠٣).

ومن فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

(١) ما ثبت عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»، قال سعيد: فأخبرت أن أشافه بها سعداً، فلقيت سعداً، فحدثته بما حدثني عامر، فقال: أنا سمعته، فقلت: أنت سمعته؟ فوضع إصبعه على أذنيه، فقال: نعم، وإلا فاستكتنا.^(٢)

(٢) وما جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه»، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن أذعي لها. قال: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها، وقال: «امش، ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك»، قال: فسار علي شياً، ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا

(١) هو الصحابي الجليل علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، استشهد ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف الشهر. انظر: «الإصابة» (٤/٤٦٤)، و«البداية والنهاية» (٧/٢٢٣) بتصرف واختصار.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٤٠٤).

□ ورواه البخاري برقم (٣٧٠٦) و(٤٤١٦)، ومسلم برقم (٢٤٠٤)، من طريقين آخرين عن سعد رضي الله عنه نحوه.

وَأُطِيطُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ، فَكُنْتُ أَعْرِفُ أَبِي إِذَا مَرَّ عَلَى فَرَسِهِ فِي السَّلَاحِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي، فَقَالَ: وَرَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ! لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ أَبُورِيهِ. فَقَالَ: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي».^(١)

ومن فضائل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

ما رواه عبد الرحمن بن الأَخْنَس، قال: خَطَبَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَنَالَ مِنْ فُلَانٍ، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ»، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَسْمِيَ الْعَاشِرَ. قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ وَحَجَّاجٌ فِي حَدِيثِهِمَا: ثُمَّ ذَكَرَ نَفْسَهُ. يَعْنِي الْعَاشِرَ.^(٢)

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٢٠)، ومسلم برقم (٢٤١٦) واللفظ له.

(٢) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٢/١-١٤٣) برقم (٨٧).

□ ورواه الطيالسي في «مسنده» (١٩٢/١) برقم (٢٣٣-التركي)، وأحمد في «مسنده» (١٨٨/١)، وفي «فضائل الصحابة» (٢٧١-٢٧٢) برقم (٢٥٦ و ٢٥٧)، وأبو داود برقم (٤٦٩٤)، والترمذي عقب حديث برقم (٣٧٥٧) وحسنه، والنسائي في «الكبرى» (٥٨ و ٤٧/٥) برقم (٨١٥٦ و ٨٢٠٤ و ٨٢١٠)، وابن أبي عاصم في «السنن» (١٤٢٨ و ١٤٢٩ و ١٤٣٠ و ١٤٣١)، وأبو يعلى (٢٥٩/٢) برقم (٩٧١)، والشاشي في «مسنده» (٢٣٤-٢٣٥ و ٢٣٧ و ٢٤٧) برقم (١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٤ و ١٩٥ و ٢١٠)، وابن حبان (٤٥٤/١٥) برقم =

ومن فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

ما ثبت عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيْتُهَا الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ».^(١)

ومن فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

❶ ما جاء عن عبد الله بن شداد، قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبُورِيهِ لِأَحَدٍ، غَيْرَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُولُ لَهُ يَوْمَ أُحُدٍ: «إِزْمِ؛ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي».^(٢)

❷ وما ثبت عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: أَرَقَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، قَالَتْ: وَسَمِعْنَا صَوْتَ السَّلَاحِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذَا؟» قَالَ: سَعْدُ ابْنُ أَبِي وَقَاصٍ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ أَحْرُسُكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَتَنَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ.^(٣)

= (٦٩٩٣)، وابن بشران في «الأمالي» (٢٩/١) برقم (١٣)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠٨٩ و ١٠٩٠-مسند سعيد بن زيد)، من طرق عن الحر بن الصياح عن عبد الرحمن بن الأَخْنَس بالفاظ متقاربة. قال الترمذي: حديث حسن. وصححه الألباني في تعليقه على «صحيح ابن حبان» (٦٩٥٤).

□ وللحديث طرق أخرى عن سعيد بن زيد رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ.

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٤٤)، ومسلم برقم (٢٤١٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٠٥٩)، ومسلم برقم (٢٤١١) واللفظ له.

(٣) رواه البخاري برقم (٢٨٨٥ و ٧٢٣١)، ومسلم برقم (٢٤١٠) واللفظ له.

ومن فضائل سعيد بن زيد رضي الله عنه:

ما رواه عبد الرحمن بن الأحنس، قال: خطبنا المغيرة بن شعبه فقال من فلان، فقام سعيد بن زيد رضي الله عنه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة»، ولو شئت أن أسمى العاشر. قال ابن جعفر وحجاج في حديثهما: ثم ذكر نفسه. يعني العاشر. ^(١)

ثم يأتي في الفضل بعد ذلك المهاجرون، ومما ورد من فضائلهم:

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

ثم بعد ذلك الأنصار - رضوان الله عنهم -

﴿١﴾ فقد أنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وكذلك ما ثبت عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ

المهاجرون مع الأنصار

(١) سبق تخريجه (ص ٥٤).

هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: من الآية ١٢٢]

بنو سلمة وبنو حارثة، وما نحب أنها لم تنزل؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. ^(١) *تدبر وشار لنا*

﴿٣﴾ وما جاء من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم، اغفر للأَنْصَارِ، ولأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ». ^(٢)

ثم يأتي في الفضل بعد ذلك أهل بدر، ومن فضائلهم ما جاء:

﴿١﴾ عن عبيد الله بن أبي رافع - وهو كاتب علي - قال: سمعت علياً رضي الله عنه وهو يقول: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: «إئتوا روضة خاخ؛ فإن بها طعينة معها كتاب، فخذوه منها»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بالمرأة، فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي كتاب! فقلنا: لتخرجي الكتاب أو لنلقين الثياب. فأخرجت من عقاصها. فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين، من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب، ما هذا؟!» قال: لا تعجل علي يا رسول الله؛ إني كنت امرأة ملصقا في قريش قال

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٥١)، و(٤٥٥٨)، ومسلم برقم (٢٥٠٥) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٩٠٦)، ومسلم برقم (٢٥٠٦) واللفظ له.

سُفْيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا) وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا، وَلَا اِزْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ»، فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ، فَقَالَ: اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ؛ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١].^(١)

وما ثبت أيضًا عن معاذ بن رفاعه بن رافع الزُّرقي، عن أبيه - وكان أبوه من أهل بدر - قال: جاء جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَعْدُونَ أَهْلَ بَدْرِ فِيكُمْ؟» قَالَ: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ» - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - قَالَ: «وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ».^(٢)

ثم ياتي في الفضل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان، ﷺ؛ ومن فضائلهم:

ما ثبت عن أبي الزبير؛ أنه سمع جابر بن عبد الله ﷺ يقول: أَخْبَرَنِي أُمُّ مُبَشَّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ، أَحَدٌ مِنَ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»، قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ

(١) رواه البخاري برقم (٣٠٠٧) و(٣٩٨٣)، ومسلم برقم (٢٤٩٤) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٩٢).

اللَّهُ، فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِنْ مَنَعَكَ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: من الآية ٧١]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾» [مريم: ٧٢].^(١)

ثم ياتي في الفضل بعد ذلك من أسلم قبل الفتح وقاتل، يليهم من أسلم بعد الفتح وقاتل.

وهم بقية الصحابة رضوان الله عليهم، والذين ثبت لهم من الفضل العظيم ما جاءت به عمومات الأحاديث الصحيحة؛ والتي منها:

ما ثبت عن أبي حمزة: سَمِعْتُ زُهْدَمَ بْنَ مُضَرَّبٍ: سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» - قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قُرْنِهِ قُرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيُخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ».^(٢)

وإذ كان الأمر كما علمت من سير الصحابة الكرام: فإن المسلمين الصادقين في إسلامهم يحبون أصحاب رسول الله ﷺ، وكلما ذكر الصحابي في مقام، قالوا: (رضي الله عنه)، ويعترفون لهم بالفضل، وأن الله فتح جُلَّ الدُّنْيَا عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَأَنَّهُمْ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ خَالِقِهِمْ وَبَارِئِهِمْ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٩٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٦٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٣٥).

أَشْرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُونَ وَيُقْبَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: ١١١]، فكان أصحاب رسول الله ﷺ من أول من ارتبط بهذه البيعة، واعتبط بها، واقتنع بها، وأسهم إسهامًا عظيمًا في سبيل الوفاء، لينال الجزاء الحسن، ولم يبدلوا تديلاً.

قلت: وبعد إيراد هذه النصوص من الكتاب والسنة الدالة على بيان فضائل الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - أجمعين، يجب علينا جميعاً أن نولي هذه المسألة اهتماماً بالغاً، أعني مسألة محبة الصحابة محبة شرعية وسطاً بين الغلاة والجفافة، ومعرفة فضلهم، لأنها من المسائل المهمة في باب العقائد؛ التي يجب على المسلم معرفتها، والتزام منهج أهل السنة والجماعة فيها، وعدم مخالفتهم، ولأهمية هذه المسألة فهي تحتاج إلى بعض التفصيل والوقفات؛ ومنها:

الوقف الأولى: بيان منهج أهل السنة والجماعة تجاه صحابة رسول الله ﷺ عموماً:
فأهل السنة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج، فهم يحبونهم، ويعتقدون أن حبهم فريضة؛ وذلك اعتماداً منهم على النصوص التي جاءت في ذكر فضائلهم وصفاتهم، وحب الله ﷻ لهم،

وأنه قد رضي عنهم، وكذلك رسوله ﷺ قد أحبهم، وأمر أمته بحبهم، فحبهم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وتنزيلهم منازلهم في السابقة والفضل كما جاء مبيناً في النصوص الكريمة ومنها ما ورد في هذا الشرح المختصر.

الوقف الثانية: في بيان منهج أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

فأهل السنة والجماعة بجانب محبتهم للصحابة الكرام، والترضي عنهم؛ فإنهم يسكتون عما شجر بينهم، ويعتبرون ما حصل بينهم من الاختلافات اجتهادات، فلا يخوضون في ذلك، ويعتقدون أن المصيب منهم له أجران؛ أجر على اجتهاده، وأجر على صوابه، وأن المخطئ منهم له أجر على اجتهاده، وخطؤه معفو عنه فيه.

ومما يجب أيضاً على المسلم اتجاه ما حصل بين الصحابة من القتال والفتن عدم البحث في هذا الموضوع، واجتنابه، والاقتداء بالسلف الصالح في هذا الباب العظيم من أبواب العقيدة الإسلامية، عاملين بقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

كما أنه على المسلم الاعتذار لهم بما سبق بيانه؛ من أنهم مجتهدون، إن

أصابوا فلهم أجران، وإن أخطوا فلهم أجر اجتهدهم وخطوهم معفو عنهم فيه، ويُعذر لهم أيضًا بكونهم بشرًا غير معصومين عن الخطأ، وأن لهم من الفضائل والمناقب والأعمال الجليلة ما يُكفر الله بها ما حصل وبدر من بعضهم، ولما لهم من مزية الصحبة لرسول الله ﷺ، والجهاد معه في سبيل الله ما يجعل خطاهم مغفرا إن شاء الله.

الوقفه الثالثة:

ومما يجب التنبيه عليه: أنه على المسلم العاقل ألا يكون كأولئك الذين اتخذوا ما وقع بين الصحابة الكرام وقت الفتنة من الاختلاف والافتتال سببًا للوقعة بهم، والنيل من بعضهم، وسبهم، أو رمي بعضهم بصفات قبيحة كالجهل والغش والكذب والخديعة وغيرها من الألفاظ القبيحة؛ التي لا تصدر إلا عن ضال مُضل مبتدع، أو عن جاهل لم يعرف قدر أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يعرف معاني النصوص التي جاءت في الثناء عليهم وبيان فضائلهم، كالرافضة والخوارج، ومن تبعهم وانتهج نهجهم. وأن يعلم المسلم بأن من انتهج هذا النهج السقيم هم أعداء للإسلام، لم يقصدوا بذلك إلا تدمير الإسلام والقضاء عليه، ونشوء الفتنة بين المسلمين، وتفرقتهم، وتشكيكهم في رعيهم الأول من هذه الأمة، والله المستعان.

الوقفه الرابعة: في وجوب محبة من آمن من قرابة النبي ﷺ واهتدى بهداه.

وأهل البيت هم: آل النبي ﷺ الذين لا تجوز عليهم الصدقات، وهم آل علي، وآل جعفر، وآل عقیل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ وبناته، رضوان الله عليهم أجمعين.

كما في الحديث الثابت عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه، قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا؛ رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وعزوت معه، وصليت خلفه؛ لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا تكلّفوني، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى حُمّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به - فحث على كتاب الله ورغب فيه - ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، فقال له حصين: ومن أهل بيتي يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيتي؟ قال:

نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ حُرْمِ الصَّدَقَةِ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟
قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرْمُ
الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ.^(١)

إذا علم ذلك، فإن منهج أهل السنة والجماعة في من آمن من أهل بيت
النبي ﷺ محبتهم والترضي عنهم، ومعرفة فضل قرباتهم للنبي ﷺ،
والعمل بوصية المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فيهم، وإكرامهم، فلا
يجوز بغضهم، وهضم حقهم أبداً، من غير غلو فيهم، ولا جفاء لهم، وأن
محبتهم هي محبة للرسول ﷺ، وإكرامهم إكرام له.

وهم -أي: أهل السنة والجماعة- وسط بين الغالي في آل البيت وبين
الجافي، فهم أهل الاعتدال والوسطية فيهم وفي غيرهم، وبذلك فهم يحبون
من آمن من أهل البيت وكان له شرف الهداية على الدين وصحبة الرسول
الكريم، بينما يتبرؤون ممن حاد عن الحق من أهل البيت ومات على الشرك.

ولقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:

من الآية ٢٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: وقوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا

(١) رواه مسلم برقم (٢٤٠٨).

أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطوني، وإنما أطلب منكم أن
تكفؤا شركم عني، وتذروني أبلغ رسالات ربي، إن لم تنصروني فلا تؤذوني
بما بيني وبينكم من القرابة. قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا
محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن ميسرة، قال: سَمِعْتُ
طَاوُوسًا يُحَدِّثُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي
الْقُرْبَى﴾، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَجِلْتَ! إِنَّ
النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ. فَقَالَ: «إِلَّا أَنْ تَصِلُوا
مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ»^(١) انفرد به البخاري، ورواه الإمام أحمد عن يحيى
القطان عن شعبة به^(٢)، وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وعلي بن أبي
طلحة والعوفي ويوسف بن مهران وغير واحد، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مثله^(٣).

(١) رواه البخاري برقم (٤٨١٨).

(٢) رواه أحمد (٢٢٩/١)، ورواه البخاري برقم (٣٤٩٧) عن مسدد، عن يحيى القطان، عن شعبة به،
نحوه.

(٣) رواية الشعبي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه سعيد بن منصور كما في «فتح الباري» (٨/٥٦٥)،
وعنه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٢٤)، وأحمد بن منيع في «مسنده» (١٥/١٩٦) برقم
(٣٧٠٧) - «المطالب العالية»، والبخاري (١١/٤٧٩) برقم (٥٣٦١ و ٥٣٦٢)، والطحاوي في
«شرح معاني الآثار» (٣/٢٨٦)، والطبري في «تفسيره» (٢١/٥٢٥)، والطبراني (١٢/٩١) برقم
(١٢٥٦٩)، والحاكم (٢/٤٨٢) برقم (٣٦٦٠)، وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/١٨٥)، من
طرق عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن عباس بألفاظ متقاربة، بمعنى حديث طاووس.

وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور» (٧/٣٤٦): إلى عبد بن حميد وابن مردويه.

قال البخاري: هَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ، وَلَا نَعْلَمُ لَهُ إِسْنَادًا أَحْسَنَ مِنْ =

وبه قال مجاهد^(١) وعكرمة^(٢) وقتادة^(٣) والسدي^(٤) وأبو مالك^(٥) وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم^(٦) وغيرهم^(٧).

= هَذَا الْإِسْنَادُ.

وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

□ ورواية الضحاك عنه أخرجهما النحاس في «لناسخ والمنسوخ» (ص ٦٥٦)، وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٣٤٦/٧).

□ ورواية علي بن أبي طلحة عنه أخرجهما الطبري في «تفسيره» (٥٢٥/٢١)، والطبراني (٢٥٤/١٢) برقم (١٣٠٢٦)، وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٣٤٦/٧).

□ ورواية العوفي عنه أخرجهما الطبري في «تفسيره» (٥٢٥/٢١)، وعبد بن حميد وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٣٤٧/٧).

□ ورواه الحاكم (٤٨٢/٢) وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٨٥/١)، من طريق هشيم عن حصين عن عكرمة عن ابن عباس معناه. وقال: صحيح على شرط البخاري.

□ ورواه الطبراني في «الصغير» (١٣٦/١) برقم (٢٠٥)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٣٤٧/٧).

□ وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٣٦/٣) برقم (٣٣٢٣) و(١٩٩/٧-٢٠٠) برقم (٧٢٦٤)، وابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق سعيد بن جبيرة عن ابن عباس معناه.

□ ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٩٩٦/٢) برقم (١٥٤٦-الجوابرة) عن أبي مالك عن ابن عباس معناه.

(١) رواه الطبري (٥٢٦/٢١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢٨٧/٣).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٢٤/١)، ومسند في «مسنده» (١٣٥٩-«إتحاف الخيرة المهرة»)، والطبري في «تفسيره» (٥٢٦/٢١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢٨٧-٢٨٦/٣).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩١/٣)، والطبري (٥٢٦/٢١) و(٥٢٧).

(٤) رواه الطبري (٥٢٧/٢١).

(٥) رواه الطبري (٥٢٦/٢١).

(٦) رواه الطبري (٥٢٧/٢١).

(٧) رواه الطبري (٥٢٧/٢١) عن الضحاك وعن عطاء بن دينار.

□ ورواه ابن سعد (٢٤/١) عن سعيد بن جبيرة.

وقد ثبت في «الصحيح» أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١).

(١) رواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢٩٥/١)، والبخاري (٢٣٢/١٠) برقم (٤٣٢٥)، والطبراني (١٧٠/٥) برقم (٤٩٨١-٤٩٨٢)، والحاكم (١٦٠/٣) برقم (٤٧١١)، من طريقين عن الحسن ابن عبيد الله النخعي عن مسلم بن صبيح عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

قلت: الحسن بن عبيد الله النخعي من رجال مسلم، كما في «التقريب» (ص ٢٣٩-أبو الأشبال). وقد وثقه جماعة، وقال فيه البخاري: لم أخرج حديث الحسن بن عبيد الله؛ لأن عامة حديثه مضطرب. «تهذيب التهذيب» (٢٥٤/٢)، الحسن بن عبيد الله النخعي.

والحديث في «صحيح مسلم» برقم (٢٤٠٨)، من طريق يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم مطوّلًا، وليس فيه: «ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

وقد جاءت هذه الزيادة في حديث زيد بن أرقم في طرق أخرى عنه، ووردت في حديث زيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم، واختلف أهل العلم في ثبوتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» (٣١٨/٧-٣١٩): وقد طعن غير واحد من الحفاظ في هذه الزيادة، وقال: إنها ليست من الحديث، والذين اعتقدوا صحتها قالوا: إنما يدل على أن مجموع العترة الذين هم بنو هاشم لا يتفقون على ضلالة، وهذا قاله طائفة من أهل السنة، وهو من أجوبة القاضي أبي يعلى وغيره. والحديث الذي في «مسلم» إذا كان النبي ﷺ قد قاله فليس فيه إلا الوصية باتباع كتاب الله، وهذا أمر قد تقدمت الوصية به في حجة الوداع قبل ذلك، وهو لم يأمر باتباع العترة، لكن قال: «أذكركم الله في أهل بيتي»، وتذكير الأمة بهم يقتضي أن يذكر ما تقدم الأمر به قبل ذلك من إعطائهم حقوقهم، والامتناع من ظلمهم؛ وهذا أمر قد تقدم بيانه قبل غدير خم، فعلم أنه لم يكن في غدير خم أمر يشرع نزل إذ ذاك لا في حق علي ولا غيره، لا إمامته ولا غيرها، لكن حديث الموالاة قد رواه الترمذي وأحمد في «مسنده» عن النبي ﷺ أنه قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وأما الزيادة وهي قوله: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه..» إلخ فلا ريب أنه كذب.

وقال الإمام أحمد رحمته الله: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب رحمته الله، قال: قلت: يا رسول الله، إن قرئنا إذا بقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها. قال: فغضب النبي رحمته الله غضباً شديداً، وقال: «والذي نفسي بيده، لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله»^(١).

ثم قال أحمد رحمته الله: حدثنا جرير، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب بن ربيعة، قال: دخل العباس رحمته الله على رسول الله رحمته الله، فقال: إنا لنخرج فترى قرئنا تحدث، فإذا رأونا سكتوا. فغضب رسول الله رحمته الله ودر عرق بين عينيه، ثم قال رحمته الله: «والله، لا يدخل قلب امرئ مسلم إيماناً حتى يحبكم لله ولقرآني»^(٢).

وقال البخاري رحمته الله: حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا خالد، حدثنا شعبة، عن واقد، قال: سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رحمتهما الله عن أبي بكر - هو الصديق رحمته الله - قال: أزفوا محمداً رحمته الله في أهل بيته^(٣).

(١) رواه أحمد (٢٠٧/١).

(٢) رواه أحمد (٢٠٧/١).

□ ورواه أحمد (١٦٥/٤) بالإسنادين السابقين، بزيادة رجل بين عبد الله بن الحارث والعباس رحمتهما الله، ومن هذا الوجه أخرجه الترمذي في «جامعه» برقم (٣٧٥٨)، وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٧١٣) و(٣٧٥١)، من حديث ابن عمر رحمتهما الله.

وفي «الصحيح»: أن الصديق رحمته الله قال لعلي رحمته الله: واللّه، لقرابة رسول الله رحمته الله أحب إليّ أن أصل من قرآني^(١).

وقال عمر بن الخطاب للعباس رحمته الله: واللّه، لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم؛ لأن إسلامك كان أحب إليّ رسول الله رحمته الله من إسلام الخطاب^(٢).

فحال الشيخين رحمتهما الله هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك؛ ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين، رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين. اهـ^(٣).

وفيما يلي أئها القارئ الكريم سأورد بعض الأدلة على فضائل آل البيت رضوان الله عنهم أجمعين:

فمن فضائل أهل بيت النبي رحمته الله ومناقبهم، وأعني من آمن منهم:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٧٥٩)، من حديث عائشة رحمته الله.

(٢) قطعة من حديث طويل رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٧/٤٥٩-٤٦٢) برقم (٤٣٠١)،

والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/٣١٩-٣٢٢)، والطبراني في «الكبير» (٨/١٠-١٥) برقم

(٧٢٦٤)، من حديث ابن إسحاق، قال: حدثني الزهري عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس. قال

الهيثم في «مجمع الزوائد» (٦/٢٤٦-«البغية»): رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر:

حديث صحيح. وانظر: «الصحيح» للألباني (٣٣٤١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٧/١٩٩-٢٠٢) باختصار.

تَطْهِيرًا ﴿[الأحزاب: من الآية ٣٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وهذا نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا؛ لأنهم سبب نزول هذه الآية، وسبب النزول داخل فيه قولاً واحداً؛ إما وحده على قول، أو مع غيره على الصحيح. وروى ابن جرير عن عكرمة: أَنَّهُ كَانَ يُنَادِي فِي السُّوقِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً. (١)

وهكذا روى ابن أبي حاتم، قال: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، قَالَ: نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً.

وقال عكرمة: من شاء باهله أنها نزلت في شأن نساء النبي ﷺ. (٢)؛ فإن كان المراد أنهم كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، وإن أريد أنهم المراد فقط دون غيرهن، ففيه نظر؛ فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم من ذلك:

(١) رواه الطبري في "تفسيره" (٢٠/٢٦٧)، والعلبي في "الكشف والبيان" (٨/٣٦)، وابن مردويه كما في "الدر المشهور" (٦/٦٠٣).
(٢) ورواه ابن عساکر في "تاريخ دمشق" (٦٩/١٥٠).

الحديث الأول: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا علي بن زيد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمُرُّ بَبَابِ فَاطِمَةَ رضي الله عنها سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِذَا خَرَجَ إِلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ، يَقُولُ: «الصَّلَاةُ يَا أَهْلَ الْبَيْتِ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا»، رواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن عفان به. وقال: حسن غريب. (١)

حديث آخر: وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي، حدثنا شداد أبو عمارة، قال: دَخَلْتُ عَلَى وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه وَعِنْدَهُ قَوْمٌ، فَذَكَرُوا عَلِيًّا رضي الله عنه فَشَتَمُوهُ، فَشَتَمَتْهُ مَعَهُمْ، فَلَمَّا قَامُوا قَالَ لِي: شَتَمْتَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قُلْتُ: قَدْ شَتَمُوهُ فَشَتَمْتُهُ مَعَهُمْ، أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَتَيْتُ فَاطِمَةَ رضي الله عنها أَسْأَلُهَا عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فَقَالَتْ: تَوَجَّهْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ رضي الله عنهم، أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِيَدِهِ، حَتَّى دَخَلَ قَادَتْنِي عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ رضي الله عنهما، وَأَجْلَسَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا رضي الله عنهما كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى فَخْذِهِ، ثُمَّ لَفَّ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ - أَوْ قَالَ: كِسَاءَهُ -، ثُمَّ تَلَا

(١) روه أحمد (٣/٢٨٥)، والترمذي برقم (٣٢٠٦).

□ ورواه أحمد (٣/٢٥٩) عن أسود بن عامر عن حماد بن سلمة به مثله.

قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ. وَقَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي الْحَمَرَاءِ وَمَنْعُولِ بْنِ يَسَارٍ وَأُمِّ سَلَمَةَ.

هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ»^(١).

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم بن أبي عمير، عن الوليد بن مسلم، عن أبي عمرو الأوزاعي بسنده نحوه، زاد في آخره: قَالَ وَائِلَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: فَقُلْتُ: وَأَنَا - يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ - مِنْ أَهْلِكَ؟ قَالَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِي»، قَالَ وَائِلَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: وَإِنَّهَا مِنْ أَزْجَى مَا أَرْتَجِي^(٢).

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٠٧/٤). ورواه أيضًا في «فضائل الصحابة» (١/٧١٤-٧١٥) برقم (٩٧٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٢/١٢)، والطبراني في «الكبير» (٦٦/٢٢) برقم (١٦٠)، وابن عساکر في «تاريخه» (١٤٨/١٤)، من طريق محمد بن مصعب - وهو القرقيساني - عن الأوزاعي به. قال الهيثمي (١٦٣/٩ - «بغية»): رواه أحمد وأبو يعلى باختصار وزاد: «إليك لا إلى النار»، والطبراني وفيه محمد بن مصعب وهو ضعيف الحديث سيئ الحفظ، رجل صالح في نفسه.

قلت: هو متابع كما سيأتي في تخريجه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/٢٦٤-٢٦٥). ورواه القطيعي في «زوائد على فضائل الصحابة» (٩٨٨/٢) برقم (١٤٠٤)، من طريق عبد الكريم بن أبي عمير عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي به.

□ ورواه ابن حبان (٤٣٢/١٥) برقم (٦٩٧٦) من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي به.

□ وقد رواه الطبراني (٥٥/٣) برقم (٢٦٧٠)، من طريق محمد بن علي الصائغ عن محمد بن بشر التنيسي عن الأوزاعي به.

□ ورواه الحاكم في «المستدرک» (٢/٤٥١) برقم (٣٥٥٩)، وعنه البيهقي (٨٠/٢)، من طريق الوليد بن مزيد عن الأوزاعي به نحوه. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

□ ورواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢/٢٤٥)، والحاكم (٣/١٥٩) برقم (٤٧٠٦)، والبيهقي (٨٠/٢)، من طريق بشر بن بكر عن الأوزاعي به نحوه. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. وقال البيهقي: إسناده صحيح.

ثم رواه أيضًا عن عبد الأعلى بن واصل، عن الفضل بن ذكين، عن عبد السلام بن حرب، عن كلثوم المحاربي، عن شداد بن أبي عمارة، قال: إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ عَلَيْهَا السَّلَامُ، إِذْ ذَكَرُوا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَتَمُوهُ، فَلَمَّا قَامُوا، قَالَ: إِجْلِسْ حَتَّى أُخْبِرَكَ عَنْ هَذَا الَّذِي سَتَمُوهُ، إِنِّي عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَالْقَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ كِسَاءً لَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا؟ قَالَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «وَأَنْتَ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَأَوْتَقُ عَمَلٍ عِنْدِي^(١).

حديث آخر: وقال مسلم في «صحيحه»: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَشُجَاعُ ابْنِ مَخْلَدٍ، عَنْ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي أَبُو حَيَّانَ، حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ، قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدٌ خَيْرًا كَثِيرًا؛ رَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ، لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدٌ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدَّثَنَا يَا زَيْدٌ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَقَدَّمَ عَهْدِي،

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/٢٦٤). ورواه الطبراني في «الكبير» (٥٥/٣) برقم (٢٦٦٩)، عن علي بن عبد العزيز عن أبي نعيم الفضل بن ذكين به مثله. قال الهيثمي (٩/٢٦٤ - «بغية»): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال السياق رجال الصحيح، غير كلثوم بن زياد، ووثقه ابن حبان وفيه ضعف.

وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعْيِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَأَقْبَلُوا، وَمَا لَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعِظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ﷻ وَرَعَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» ثَلَاثًا، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدٌ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ أَلْ عَلِيٍّ وَأَلْ عَقِيلٍ وَأَلْ جَعْفَرٍ وَأَلْ الْعَبَّاسِ ﷺ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. اهـ (١) (٢)

ومن الأدلة أيضاً على بيان فضل آل البيت:

ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ، مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» [الأحزاب: ٣٣]. (٣)

(١) سبق تخريجه (ص ٦٤).

(٢) "تفسير ابن كثير" ٦/ ٤١٠-٤١٢ باختصار.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٠٨١).

وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي» (١).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا» (٢).

ولقد أشار الناظم إلى ذلك بقوله: (وَمَوَدَّةُ الْقُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ)، أي: مَوَدَّةُ قَرَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَحُبُّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَحُبُّ زَوْجَاتِهِ الطَّاهِرَاتِ الْمُطَهَّرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، الْحُبُّ الشَّرْعِيُّ لَا غُلْوٌ وَلَا جَفَاءٌ، بَلْ حُبًّا مَدَارَهُ عَلَى النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي فَضْلِهِمْ، وَحُبُّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ لَهُمْ، عَمَلٌ أَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، أَرْجُو ثَوَابَهُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ جَمَلَةِ الْمَأْمُورَاتِ الشَّرْعِيَّةِ.

والتوسل معناه: التقرب إلى الشيء بعمل ما، والوسيلة هي الطريقة والتقربة أيضاً؛ قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

والتوسل الذي أراده الناظم في هذا البيت هو التوسل المشروع، الذي كان عليه الصحابة الكرام والتابعون لهم بإحسان؛ وهو التقرب إلى الله تعالى بالإيمان بالله ورسوله وكتبه واليوم الآخر، وبإمتثال الأوامر الشرعية،

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٦٧)، ورواه مسلم برقم (٢٤٤٩)، ولفظه: «إِنِّي فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِنِي مَا آذَاهَا».

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧٤٧).

واجتناب التواهي، وعمل المستحبات التي أمر الله بها وأمر بها رسله عليهم الصلاة والسلام، وكذلك التوسل بطاعة الرسول في كل ما أمر به ونهى عنه. هذا هو التوسل الذي قصده الناظم رحمته؛ لأن السلف الصالح ومن تبعهم إذا أطلقوا لفظ التوسل أرادوا به المشروع لا الممنوع.

فتوسل الناظم رحمته بمودة المؤمنين من قرابة النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنها من أجل الأعمال الصالحة، وامثالاً لأمر ووصية النبي الكريم صلى الله عليه وآله، فهو إذاً من التوسل المشروع إلى الله سبحانه وتعالى، والتقرب إليه بالأعمال الصالحة، خلافاً لما يفعله بعض فرق أهل الضلال من التوسل بذوات الصحابة، أو بجاههم؛ فهذا من التوسل غير المشروع، والذي لم يفعله أحد من علماء السلف الصالح.

الوقفه الخامسة: في بيان الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في اعتقاد فضل الصحابة ووجوب محبتهم.

وأبرز الفرق التي خالفت في هذا الباب فرقتان من فرق الضلال، هما:

الرافضة والخوارج:

الفرقة الأولى الرافضة: ^(١) الذين غلوا في حب علي رضي الله عنه حتى رفعوه

(١) وهي طائفة من الطوائف الشيعية ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الفاسدة، فهم الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي صلى الله عليه وآله وسموا بالرافضة؛ قيل: لأنهم رفضوا إمامة زيد بن علي. وقيل: لرفضهم إمامة أكثر الصحابة ومنهم الشيخين. وقيل: لرفضهم الدين.

هو وأهل البيت فوق منزلتهم ظلماً منهم وعدواناً، وجفوا بقية الصحابة الأفاضل، فكفروهم، فصاروا بذلك من أهل الغلو ومن أهل الجفاء، وكل رزية تليق بجناهم. ^(١)

الفرقة الثانية الخوارج: ^(٢) ويسمّون الجفاة النواصب، وهم الذين نصبوا العداوة لعلي بن أبي طالب ومن معه من الصحابة الكرام، وحكموا عليهم بالكفر، لأن الخوارج منهجهم التكفير، واستحلال دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ بسبب الوقوع في المعصية، بل قد تكون معصية في فهمهم، وإلا فما نقموه علي بن أبي طالب، وزعموا أنه وافق على

من أشهر فرقهم: الشيعة الاثنا عشرية، المحمدية، الشيعية، الرشتية.

ومن معتقداتهم الفاسدة: زعمهم أن الله تجلّى في علي وفي أولاده الأحد عشر، وأنهم مظاهر الله، وأصحاب الصفات الإلهية، ودعواهم عصمة الأئمة والأوصياء، وموقفهم الباغض للصحابة، وقولهم بالبداء على الله تعالى، والظهور بعد الخفاء، كما قالت اليهود. انتهى بتصرف من "فرق معاصرة" (١٦٣/١) وما بعدها.

(١) استنبط الإمام مالك رحمته من قوله تعالى: «رَبَّنَا اغْنِرْنَا لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» الآية، أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال النبي نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء. انظر "اعتقاد أهل السنة والجماعة" لللاكاني (٧-١٢٦٨/٢٤٠٠)، وروي عنه أيضاً أنه قال بتكفير الروافض الذين يغيضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيضونهم، ومن غاض الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لقوله تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...» الآية. انظر البغوي في "معالم التنزيل" (٧-٣٢٨).

(٢) الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى: خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. "الملل والنحل لشهرستاني".

التحكيم، وقالوا: إنه حَكَمَ الرجال، وترك حكم الله؛ والله تعالى يقول: ﴿إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [يوسف: من الآية ٤٠]، زعم غير صحيح.

واحتجاجهم بآية: ﴿إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ﴾ هي من قبيل ما قيل: كلمة حق أريد بها باطل.^(١) لأن علي بن أبي طالب ومن معه أعرف بمعنى: ﴿إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ﴾ من الخوارج، أما الخوارج فلم يأخذوا العلم الشرعي عن أصحاب النبي ﷺ؛ الذين هم حملة العلم، وأهل الفقه في الدين، فبرزوا لعل ابن أبي طالب ومن معه؛ وجرت المعركة، فأمد الله طائفة الحق بالنصر على أولئك المعتدين الضالين، فما هي إلا ساعات وقد فرغ منهم، فقد فر من المعركة من فر، وقتل في المعركة الكثير، وهم يتنادون -أي: ينادي بعضهم بعضاً- الرواح! الرواح،^(٢) أي: إلى الجنة، فهذا معتقد الخوارج الذين هم نواصب، وإنه لمعتقد فاسد.

والخوارج لم تنته فتنتهم، ولم تستأصل شأفتهم، بل يتوارثون هذا المذهب اللاحق عن السابق، فكل من خرج على الحكام المسلمين، وكل

(١) قالها علي بن أبي طالب للخوارج لما جعلوا يرددون قولهم: (لا حكم إلا لله) فروى الإمام مسلم في "صحيحه" برقم (١٠٦٦): عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْخُرُوجِيَّةَ لَمَّا خَرَجَتْ وَهُوَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالُوا: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. قَالَ عَلِيٌّ: كَلِمَةٌ حَقٌّ، أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ. الْحَدِيث.

(٢) انظر: "البداية والنهاية" لابن كثير (٧/ ٣٢٠) - إحياء التراث العربي.

من استحلّ الدماء والأعراض والأموال، وسلك مسلك الخيانة والنكث؛ فهو من الخوارج، ولكن الأمر فيهم كما قال النبي ﷺ: «كَلِمًا طَلَعَ قَرْنٌ قُطِعَ» حَتَّىٰ عَدَّ عَشْرِينَ قَرْنًا^(١) فهم لا يفلحون، ولا يُنصرون، حتى يخرج آخرهم مع الدجال، فالله المستعان.

وقد أخبر النبي ﷺ عن الخوارج بأنهم: «كِلَابُ النَّارِ»^(٢) وفي قوله هذا

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (١٧٤)، عن هشام بن عمار، وابن عساكر في "تاريخه" (١/ ١٦٢، ١٦٣) من طريق أبي النضر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد وهشام بن عمار الدمشقيين، قالوا: نا يحيى بن حزة، نا الأوزاعي، عن نافع، وقال أبو النضر: عن من حدثه عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ به. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: غريب من حديث نافع، والظاهر أن الأوزاعي قد رواه عن شيخ له من الضعفاء، والله أعلم. وروايته من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أقرب إلى الحفظ. "تفسير القرآن العظيم" (٦/ ٢٧٤).

قلت: حديث عبد الله بن عمرو بن عمار رَوَاهُ معمر في "الجامع" (١١/ ٣٧٦) - "مصنف عبد الرزاق"، والطيايسي في "مسنده" (٨٤/ ٤) برقم (٢٤٠٧-التركي)، وأحمد في "المسند" (٢/ ١٩٨ و ٢٠٩)، والحاكم في "المستدرک" (٤/ ٥٣٣) برقم (٨٤٩٧)، وأبو نعيم في "الحلية" (٦/ ٥٣-٥٤)، والبغوي في "شرح السنة" (١٤/ ٢٠٨-٢١٠)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (١/ ١٦٠-١٦١): عن قتادة، عن شهر بن حوشب، عن عبد الله بن عمرو بن عمار رَوَاهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا قُطِعَ قَرْنٌ نَشَأَ قَرْنٌ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ فِي بَقِيَّتِهِمُ الدَّجَالُ» هذا لفظ أحمد. قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١١/ ٣٨٠): سنده لا بأس به.

انظر: "الصحيحه" للشيخ الألباني رحمه الله برقم (٣٢٠٣).

(٢) كما في حديث عبد الله بن أبي أوفى رحمه الله؛ أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٥)، وابن ماجه برقم (١٧٣)، من طريق الأعمش عن ابن أبي أوفى، وهذا إسناد منقطع؛ فإن الأعمش لم يسمع من أحد من الصحابة. "تحفة التحصيل" لأبي زرعة العراقي (ص ١٣٥).

□ لكن أخرجه أبو داود الطيالسي في "مسنده" (٢/ ١٦٣) برقم (٨٦٠-التركي)، ومن طريقه ابن أبي عاصم في "السنة" (٢/ ٤٣٨) برقم (٩٠٥)، ورواه أحمد (٤/ ٣٨٢)، والحاكم (٣/ ٦٦٠) =

تأخير بليغ من السلوك في مسلكهم من التكفير للمسلمين سواء كانوا حكماً أو محكومين أو علماء أو غيرهم، وفيه زجر عن استحلال أموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم، وقال عليه الصلاة والسلام: «طوبى لمن قتلوه - يعني: ومعه التوحيد والصلاة طوبى له - وطوبى لمن قتلهم»^(١)، وقال ﷺ: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٢).

وما ورد في «سنن البيهقي الكبرى» عن أبي غالب قال: كنت مع أبي أمانة، فجيء برؤوس من رؤوس الخوارج، فصب على درج دمشق، فقال: «كباب النار - قالها ثلاثاً - شر قتلى قتلوا تحت ظل السماء، خير قتلى

= برقم (٦٤٣٥)، الثلاثة بإسناد آخر موصول، وحسنه الألباني في «ظلال الجنة» (٤٣٨/٢) وذكر أن له شاهداً من حديث أبي أمانة رضي الله عنه.

قلت: سيأتي تخريجه قريباً.

(١) ورد من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه: رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣٠٢/٤)، وأحمد (٣٥٧/٤ و ٣٨٢)، وعنه ابنه عبد الله في «السنة» (٦٣٧/٢) برقم (١٥٢٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٣٨-٤٣٩) برقم (٩٠٦)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» والجماعة (١٢٣٢/٧) برقم (٢٣١٢)، من طرق عن حماد بن سلمة عن سعيد بن جهمان عن ابن أبي أوفى عن النبي ﷺ نحوه. وحسنه الألباني في «ظلال الجنة» في تخريج السنة (٤٣٩/٢).

□ وورد من حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله عنه معاً، أخرجه أحمد (٢٢٤/٣)، وأبو داود (٤٧٦٥)، وأبو يعلى (٤٢٦-٤٢٧) برقم (٣١١٧)، والمروزي في السنة (٢٠-٢١) برقم (٥٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٥٧/١٠) برقم (٤٠٧٣)، والأجري في الشريعة (٢٣٦-٢٣٧) برقم (٤٠)، والحاكم (١٦١/٢) برقم (٢٦٥٠)، والبيهقي في «الكبرى» (١٧١/٨)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٦-١٧) برقم (٢٣٩٢). قال الألباني: صحيح على شرطهما. «ظلال الجنة» في تخريج السنة (٤٥٨/٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٣٤٤)، ومسلم برقم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

من قتلهم وقتلوه»، - قالها ثلاثاً - قلت: شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ أو شيئاً تقول به برأيك؟ قال: إني إذا لجريء! بل شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ.^(١) إلى غير ذلك من النصوص التي تدل على خبث منهجهم، وسوء سلوكهم مع المسلمين، وما ذلك إلا لقلة علمهم وكثرة جهلهم واستكبارهم عن الحق، فقد كان بينهم حملة العلم من أصحاب رسول الله، فلم يأخذوا عنهم كلمة واحدة، ولما ناظرهم ابن عباس رضي الله عنه وكان فيهم الأتباع، استمعوا الحجة واقتنعوا، ورجع إلى الحق معظمهم مع ابن عباس، وأما القادة المتبوعون، فإنهم أبوا إلا أن يقيموا المعركة بزعمهم، ليرثوا الجنة، ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم.^(٢)

وهذا هو معتقد الطائفة الناجية المنصورة، ومنهم ابن تيمية حيث صرح

(١) رواه البيهقي في «الكبرى» (١٨٨/٨) من طريق أبي داود الطيالسي، وهو عند الطيالسي في «مسنده» (٤٥٥/٢) برقم (١٢٣٢-التركي).

□ ورواه أحمد (٢٥٣/٥ و ٢٥٦)، والترمذي برقم (٣٠٠٠) وقال: هذا حديث حسن.

□ وابن ماجه برقم (١٧٦) من طريق أبي غالب به. قال الألباني في التعليق على «سنن الترمذي»: حسن صحيح.

(٢) قصة مناظرة ابن عباس رضي الله عنه للخوارج رواها عبد الرزاق في «مصنفه» (١٥٧/١٠-١٦٠) برقم (١٨٦٧٨)، وأحمد (٣٤٢/١) - مختصرة -، والنسائي في «الكبرى» (١٦٥/٥) برقم (٨٥٧٥)، والطبراني في «الكبير» (٣١٢-٣١٤) برقم (١٠٥٩٨)، والحاكم (١٦٤/٢) برقم (٢٦٥٦)، والبيهقي (١٧٩/٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢١١-٢٠٩/٢) برقم (٩٣٨-زمرلي)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٦٣-٤٦٤)، من طرق عن عكرمة بن عمار عن أبي زميل الحنفي عن ابن عباس. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

بذلك في البيت الماضي على التفصيل المذكور آنفاً.

قال رَحِمَهُ اللهُ،

وَأَقُولُ فِي ^(١) الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ ﴿٥﴾ آيَاتُهُ فَهُوَ الْقَدِيمُ ^(٢) الْمُنَزَّلُ

الشرح:

✽ المسألة الثالثة من المسائل التي اشتملت عليها المنظومة: بيان منهج أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم وأنه كلام الله منزل غير مخلوق. ^(٣)

في هذا البيت بيان لمعتقد أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم، الذي ارتضاه صاحب المنظومة لنفسه معتقداً ومنهجاً، فهو يؤمن بأن القرآن

(١) في نسخة: [أقرُّباً].

(٢) ورد في بعض النسخ [الكريم المنزل]، وبعضها: [العظيم المنزل].

(٣) أول من قال بخلق القرآن: الجعد بن درهم، يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في ترجمته: هو أول من قال بخلق القرآن، وهو الذي ينسب إليه مروان الجعدي وهو مروان الحمار، آخر خلفاء بني أمية، كان شيخه الجعد بن درهم أصله من خراسان، ويقال: إنه من موالي بني مروان، قال ابن عساكر وغيره: وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ عن يهودي باليمن، وأخذها عن الجعد: الجهم بن صفوان الخزري، وقيل: الترمذي، وأخذ بشر المريسي عن الجهم، وأخذ أحمد بن أبي دؤاد عن بشر... «البداية والنهاية» (٩-١٠/٤٠٤)، ط/ الثانية سنة (١٤١٧هـ) دار المعرفة.

وقويت هذه البدعة في عهد الخليفة العباسي المأمون، فهو أول خليفة أعلن القول بخلق القرآن ودعا إليها، وكان ذلك سنة (٢١٢هـ)، وصمم على امتحان العلماء في سنة (٢١٨هـ)، وشدد عليهم، فأخذ الله. انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/٢٠٠ و ٢٨٣، ٢٨١).

الكريم كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ واليه يعود، تكلم الله به حقيقة وصدقاً، وسمعه جبريل حقاً، وبلغه محمداً ﷺ وحيًا، وأن حروفه وكلماته وآياته وسوره كلها كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ليس منها شيء من كلام البشر أبدًا.. فالله ﷻ هو المتكلم به حقيقة، فأسمعه لجبريل ﷺ ليبلغه النبي محمداً ﷺ، والنبي ﷺ تلقاه من جبريل وحيًا، فبلغه للناس بشيرًا ونذيرًا، فجبريل ومحمد -عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كلاهما مبلغان عن الله ﷻ، والناس يتلون هذا القرآن الذي هو كلام الله ﷻ بأصواتهم، ويكتبونه بأقلامهم، وذلك لا يخرجهم عن كونه كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهذا معتقد أهل السنة والجماعة الذي مشى عليه الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، وقرره في قصيدته هذه، وكذلك هو معتقد كل صاحب سنة من السابقين واللاحقين إلى يوم الدين.

والأدلة على أن القرآن الكريم كلام الله، وأنه منزل غير مخلوق كثيرة، منها:

﴿١﴾ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٦].

﴿٢﴾ وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

﴿٣﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾

[الدخان: ٣].

﴿٤﴾ وقوله الحق: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].

﴿٥﴾ وقوله سبحانه: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أُتْبَغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

﴿٦﴾ وقوله عز من قائل: ﴿تَنَزَّلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الاحقاف: ١٠٢].

وغير هذه النصوص القرآنية التي تدل دلالة صريحة على أن القرآن كلام الله، منزل من عنده، غير مخلوق كثير.

ومن السنة المطهرة وردت أيضا نصوص كثيرة تدل على أن القرآن الكريم كلام الله ﷺ، منها:

﴿١﴾ ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا خَضَعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. قَالَ: فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرْقُو السَّمْعِ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ، فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ، فَرَبَّمَا أَدْرَكَهُ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا إِلَىٰ الَّذِي تَحْتَهُ، فَيُلْقِيهَا عَلَىٰ لِسَانِ الْكَاهِنِ أَوْ السَّاحِرِ، فَرَبَّمَا لَمْ

يَذْرُكْ حَتَّىٰ يُلْقِيَهَا، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةً كَذِبَةً، فَتَصْدُقَ تِلْكَ الْكَلِمَةُ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ». (١)

﴿٢﴾ ومنها ما ثبت عنه قوله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ». (٢)

﴿٣﴾ ومنها ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلُبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ». (٣)

وكم غيرها من نصوص من الكتاب والسنة دالة على الغرض، أي: بأن القرآن العظيم كلام الله، منزل من لده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تكلم به قولاً، وأنزله وحياً، وبلغه جبريل محمداً عليهما السلام، وبلغه محمد أصحابه بدون زيادة ولا نقصان، فبقي محفوظاً لعالم الإنس والجن.

فنسبته إلى جبريل وإلى محمد -عليهما السلام- نسبة تبليغ، ونسبته إلى الله ﷻ نسبة فعل؛ إذ هو كلامه وقوله حقيقة.

فالقرآن الكريم كلام الله لفظه ومعانيه، وأن الكلام صفة من صفات الله

(١) رواه البخاري برقم (٤٧٠١) و(٤٨٠٠)، والترمذي برقم (٣٢٢٣) مختصراً، وابن ماجه برقم (١٩٤) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٤٣) واللفظ له، وفي مواضع أخرى، ومسلم برقم (١٠١٦)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري برقم (٧٤٩١)، ومسلم برقم (٢٢٤٦).

تَبَارَكَ وَتَعَالَى، صفة ذاتية قائمة بذات الله تعالى باعتبار النوع، واتصاف الله به أزلاً وأبداً، وصفة فعلية باعتبار تنزله بمشيئة الله واختياره.

وهذه هي العقيدة الصحيحة عقيدة الفرقة الناجية أن هذا القرآن الذي نقرأه ونكتبه ونحفظه كلام الله حقيقة لفظاً ومعنى، بدون السؤال عن الكيفية التي تكلم الله بها، ولا يقال فيه كما قال أهل التشبيه وأهل التعطيل وأهل التأويل المذموم، على اختلاف نحلهم الباطلة، وكما قال أهل الاعتزال: إنه اللفظ دون المعنى. ولا المعنى دون اللفظ كما تقول الكلائية.

وأول من أحدث القول بأن القرآن مخلوق في الإسلام هو الجعد بن درهم، فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسطة يوم النحر. وقال: يا أيها الناس، ضحوا، تقبل الله ضحاياكم؛ فإني مضح بالجعد بن درهم؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه.^(١)

والفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة في هذا الأصل العظيم كثيرة جداً، وبمعتقدات مختلفة، ولكن من أشهرها الفرق التالية:

□ الفرق الأولى: الجهمية: أتباع جهم بن صفوان^(٢) الذين قالوا: بأن

(١) "فتاوى ابن تيمية" (١٢/١١٩).

(٢) الجهم بن صفوان (ت ١٢٨)، أظهر بدعة القول بخلق القرآن، وتلقف بدعته من الجعد بن درهم الذي أظهر القول بإنكار كلام الله، حيث لقيه بالكوفة وأخذها عنه، وعبر عن قول الجعد بقول آخر أراد به التمويه، والفكاك من سيف المسلمين، ثم نفى إلى ترمذ وبقي إلى أن قتله بأصبهان، =

القرآن مخلوق، وذلك لأنهم ينفون عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى جميع الأسماء والصفات، ومنها صفة الكلام. فيقولون: إن الله لا يتكلم، أو يتكلم بطريق المجاز.

□ والفرقة الثانية: المعتزلة^(١): الذين ينكرون صفات الله، ويقولون:

إن القرآن الكريم مخلوق، ويشتون له أسماء مجردة من المعاني.

□ والفرقة الثالثة: الأشاعرة^(٢) والكلائية^(٣): الذين يقولون: إن

= وقيل بمرور سلم بن أحوز، ونسبت هذه البدعة إليه؛ لأنه اعتنى بنشرها بعد هلاك شيخه فلقي أصحاب هذا المذهب بالجهمية، من أبرز عقائدهم: إنكارهم الصفات وتعطيلها، إنكارهم كلام الله، إنكارهم لرؤية الله يوم القيامة، قولهم أن الإيمان مجرد المعرفة، يرون أن الإنسان ليس له فعل، بل هو مجبور على فعله؛ فهم جبرية في القدر، وغيرها من الأصول الفاسدة. بواسطة كتاب: (الرد على الزنادقة والجهمية - ص ٤٣-٥١) للإمام أحمد، تحقيق: دغش العجمي.

(١) وهم أتباع واصل بن عطاء الغزال، اعتزل هو وأصحابه حلقة الحسن البصري - رحمه الله - وابتدع القول بالمنزلة بين المنزلتين، وهم فرق كثيرة تجمعهم أصول خمسة: التوحيد ومعناه نفى الصفات. والعدل ومعناه نفى القدر. وإنفاذ الوعيد ومعناه تخليد عصاة المسلمين في النار ونفي الشفاعة. والمنزلة بين المنزلتين ومعناها أن صاحب الكبيرة يخرج من الإسلام فلا يسمى مسلماً ولا يدخل في الكفر فيسمى به. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعناه الخروج على الإمام الفاسق. انظر تفاصيل مقالاتهم واختلافهم: "مقالات الإسلاميين" للأشعري (١/١٣٠-١٣٧ و ١٤١-٢٢٤) وما بعدها، و"الفرق بين الفرق" للبغدادى (٩٣-١٨٩) و"الفصل في الملل والأهواء والنحل" (٢/٨٩-٤/١٣٥) و"الملل والنحل" للشهرستاني (١/٤٣-٨٥).

(٢) وهم المنتسبون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠-٣٢٣هـ)، من عقائدهم إثبات الأسماء الحسنی، أما الصفات فهم يثبتون سبباً فقط لدلالة العقل عليها. ويقولون: الإيمان هو التصديق. ويميلون إلى مذهب الجبرية في القدر. انظر: "الملل والنحل" للشهرستاني (١/٩٤-١٠٣).

(٣) وهم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري. كان يثبت الأسماء والصفات، لكنه ينفي بعض الصفات الفعلية ويجعلها ذاتية. مثل صفة الكلام والرضى والسخط ونحوها. ويقول: إن الإيمان هو الإقرار بالله عز وجل ويكتبه ويرسله إذا كان ذلك عن معرفة وتصديق بالقلب. انظر: "مقالات الإسلاميين" للأشعري (١/١٣٨-١٤٩ و ٢٢٩-٢٣٠) و(٢/٣٩٨-٣٩٩ و ٤٢١-وما بعدها). =

القرآن العربي ليس هو كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى.^(١) وكذلك يقولون هو عبارة عن كلام الله كما قالت الأشاعرة، أو حكاية عن كلام الله ﷻ كما قالت الكلاية، حيث يلزم من هذا القول أن الرسول ﷺ لم يبلغ كلام الله، وإنما بلغ ما يدل عليه، وما هو حكاية عنه. وغيرها من المقالات الباطلة، كقول بعضهم: بأن الله خلقه في شيء، فأخذه جبريل من ذلك الشيء، أو أن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ. وقولهم: بأنه من كلام جبريل، أو من كلام محمد ﷺ. وقولهم: إن القرآن كلام الله، لا حرف، ولا صوت، ونحو ذلك. وهذا كلام كله باطل، مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة ومنهجهم؛ فكلام الله صفة ذاتية باعتبار اتصاف الله به أزلاً وأبدًا، وهو صفة فعلية باعتبار تنزله بمشيئته واختياره، فهو يتكلم سبحانه متى شاء كيف شاء، يكلم من شاء بما شاء، ومن ذلك تكلمه بالكتب المنزلة في أوقات متباعدة على رسله الكرام، وغير ذلك مما وردت به النصوص الصحيحة، كما تقدم مفصلاً.

فالقرآن الكريم من جملة كلامه حقيقة، منزل غير مخلوق؛ بدلالة النصوص الصريحة من الكتاب والسنة التي سبق ذكرها، وبديل ما جاء في

= "موقف ابن تيمية من الأشاعرة" (١/٤٣٨-٤٥١).

(١) انظر: "فتاوى ابن تيمية" (١٢/١١٩-١٢٠).

"الصحيح": عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرَحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ».^(١)

حيث استدل أهل العلم من السلف الصالح بذلك على أن كلام الله غير مخلوق، فقالوا: إن الاستعاذة بالمخلوق شرك، وفي هذا الحديث الصحيح أمر بالاستعاذة بكلمات الله من شر ما خلق الله؛ إذن فكلام الله ليس بمخلوق.^(٢)

ومما يدل أيضًا على أن القرآن منزل غير مخلوق قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، فهذه الآية الكريمة جاءت دليلًا على أن كلام الله غير مخلوق؛ لأن كل مخلوق ينفد ويبعد، وكلماته لا تنفذ ولا تبعد، وهذا الوصف لا يكون لمخلوق.

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٠٨).

(٢) انظر: "خلق أفعال العباد" للبخاري (٢/٢٣٢-الفهيد)، و"التوحيد" لابن خزيمة (١/٤٠١-٤٠٢)، و"السنة" للخلال (٦/٨٧)، و"الإبانة الكبرى" لابن بطة - الوابل - (١/٢٦٢-الرد على الجهمية)، و"الأسماء والصفات" للبيهقي (١/٤٧٧-الحاشدي)، و"التمهيد" لابن عبد البر (٢٤/١٨٦)، و"شرح السنة" للبغوي (١/١٨٥)، و"الاستغاثة في الرد على البكري" لابن تيمية (١/٣٤٠-الغريب)، و(٢/٥٤٤-الغريب)، و"مجموع الفتاوى" له (١/١١٢ و ٣٣٦ و ٦/٢٣٠) و(١٢/٣١٣)، و"بدائع الفوائد" لابن القيم (٢/٤٣٠-الباز) و"شفاء العليل" له (ص ٢٧٢-الفكر)، و"شرح العقيدة الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي - دار السلام - (ص: ١٢٦-١٢٧)، و"شرح نونية ابن القيم" لأحمد بن عيسى (١/٢٦٦).

قوله: (فَهُوَ الْقَدِيمُ الْمُنَزَّلُ)، والمراد به أنه صفة لله، وأنه قديم النوع، حادث الآحاد، أي: نزل شيئاً بعد شيء وهذا ما يعبر به كثير من السلف في القرآن، كابن تيمية وغيره، يقولون: قديم النوع، حادث الآحاد؛ من باب الإخبار، وذلك أن باب الإخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية، فيكون المراد من هذا المعنى، أي: إنه صفة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من صفاته، وحادث الآحاد، أي: النزول؛ فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنزله في ثلاث وعشرين سنة، على قول جمهور أهل العلم، تنزل السورة، وتنزل الآيات، وتنزل الآية الواحدة، وهكذا حتى اكتمل نزول القرآن والسنة المطهرة في ثلاث وعشرين سنة.

ولما اكتمل الوحيان انتقل النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى الرفيق الأعلى؛ إذ توفاه الله كغيره من الرسل والأنبياء الذين سبقوه؛ كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّيْرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ولقد أخبر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال رحمه الله:

وَأَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ ﴿٦﴾ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ

الشرح:

✽ المسألة الرابعة: في بيان أن معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات مداره على النصوص من الكتاب وصحيح السنة فقط.

وفي هذا البيت يقول الإمام في القرآن الكريم، بل وفي غيره من الصفات بما قال الله، وبما قال الرسول الهادي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والذي قاله الله وقاله رسوله ﷺ أن القرآن منزل من عند الله غير مخلوق، كما ثبت في الآيات التي ذكرتها آنفاً، والتي كانت شاهدة بأن القرآن منزل من عند الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه قديم النوع وحادث الآحاد، ولم ينزل جملة واحدة إلى الأرض، وإنما نزل مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الحوادث والوقائع والأسئلة التي كانت ترد على النبي ﷺ، فيأتي جوابها من عند الله؛ كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢].

هذه أسئلة قصها الله تبارك وتعالى علينا، والنبى ﷺ يأتيه الجواب من عند الله فيجيب عنها، وكل ما أوحاه الله ﷻ بلغه رسول الله ﷺ بدون نقصان.

وقوله: وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلَا أَتَأَوَّلُ

أي: إن منهجه في إثبات الأسماء والصفات ما ثبت عن الله - جل جلاله - من الأسماء الحسنى والصفات العلى، التي ورد ذكرها في الكتاب العزيز، وكذلك ما ثبت في السنة المطهرة، بفهم السلف الصالح، من غير تأويل لها، كالتأويل المذموم الذي سلكته طوائف الضلال على اختلاف مسمياتها في هذا الباب، فضلوا عن جادة الصواب والحق.

وأن ما قاله الرسول ﷺ متفق مع ما قاله الله تبارك وتعالى في أسمائه وصفاته، فيثبت أهل السنة والجماعة على سبيل الحقيقة، ولا يفرقون بين القرآن الكريم والسنة المطهرة فيما يتعلق في وجوب العمل، فهما عندهم وحيان شريفان عظيمان، ومن مشكاة واحدة، وإن كان للكلام خصائصه ومزاياه، كما لا يخفى على العلماء النبلاء.

قال رحمه الله:

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمُرُهَا ﴿٧﴾ حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ

الشرح:

اشتمل البيت على المسألة الخامسة من المسائل وهي: بيان العقيدة الصحيحة في طريقة إثبات صفات الله ﷻ وأسمائه.

يقول رحمه الله: (وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أُمُرُهَا ﴿٧﴾ حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ)، أي: إن آيات الصفات التي جاءت في كتاب الله ﷻ ونصوصها الواردة في السنة المطهرة يجب إمرارها كما جاءت، وهذا مذهب السلف في كل زمان ومكان، إمرارها كما جاءت في تلك النصوص، لما جاءت له.

وليس المراد بالإمرار التفويض المطلق، وإنما المراد إمرارها كما جاءت النصوص بها، وبمعانيها، وإجراؤها على ظاهرها، وتفويض علم الكيفية إلى الله ﷻ، وإجراء النصوص من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، فكلما وجدنا نصاً من القرآن فيه إثبات اسم لله، أو صفة له ﷻ، أو نصاً من السنة المطهرة فيه إثبات اسم لله، أو صفة له ﷻ؛ فعلينا أن نثبت ونمره كما جاء؛ أي للمعنى الذي جاء له مبينين ذلك المعنى. هذا المعتقد الذي يجب أن نعتقه في باب الأسماء والصفات، وندين الله به.

وإذ كان الأمر كذلك فإن السلف الصالح في هذا الباب يلتزمون ثلاثة أمور مهمة:

□ الأول: إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات، أو أثبتته له رسوله ﷺ كذلك.

□ الثاني: تنزيه الله عن مشابهته لمخلوقاته في ذاته وأسمائه وصفاته.

□ الثالث: عدم محاولة الخوض في معرفة كيفيات تلك الصفات.

وهذه الأمور نستنبطها من قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ٦٥].

فصفات الله ﷻ تتنوع باعتبار ثبوتها لله ﷻ إلى نوعين:

النوع الأول:

□ صفات شرعية عقلية، وهذه تثبت بالأدلة الشرعية والعقلية معاً.

□ النوع الثاني: صفات خبرية، وتسمى أيضاً سمعية، وهذه لا

تثبت إلا عن طريق الإخبار بها؛ إما بواسطة نصوص الكتاب، أو

نصوص السنة؛ كصفة الوجه، وصفة اليدين، وصفة القدم لله ﷻ

ونحوها.

وصفات الله أيضاً تنقسم إلى قسمين:

□ القسم الأول: صفات ثبوتية، وهي: الصفات التي أثبتها الله لنفسه،

أو أثبتها له رسوله ﷺ؛ كصفة العلم، والقدرة، والحياة، وغيرها، فهذه

الصفات يجب إثباتها كما أثبتت وجاءت بها النصوص.

□ القسم الثاني: صفات سلبية، وهي: الصفات التي نفاها الله ﷻ عن

نفسه، كصفة السنة والنوم، وصفة الظلم، وصفة الفقر، ونحوها. وهذه

الصفات يجب نفيها عن الله تبارك وتعالى، وإثبات أضدادها لله على وجه

الكمال الذي يليق به جلّ جلاله.

فالسلف الصالح ينفون عن الله الظلم، ويشبتون له ضده؛ وهو كمال

العدل، وينفون عنه النوم، والتعب، والسنة، ويشبتون له أضداد هذه الصفات،

بأنه حي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم.

والصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين باعتبار اتصاف الله بها:

□ القسم الأول: صفات فعلية، كصفة النزول، والمجيء، والرضا،

والغضب، ونحوها من الصفات التي يتصف الله بها بحسب مشيئته

واختياره، مع العلم أن كل صفة فعلية فهي صفة ذاتية.

□ القسم الثاني: صفات ذاتية، كصفة اليدين، والعينين، والوجه،

والحياة، والسمع، والبصر، ونحوها من الصفات الذاتية القائمة بذات

الله سبحانه وتعالى.

وعلى ضوء هذه التقسيمات لصفات الله سبحانه وتعالى، فهي إما أن تكون:

□ صفات كمال مطلق ومدح يليق برب العزة والجلال، كالحكمة،

والعزة، والرحمة، والحياة، فهذه الصفات ونحوها يشتملها السلف الصالح إثباتاً مطلقاً.

□ أو صفات نقص مطلق، كالظلم، والنوم ونحوها، فهذه ينفونها مطلقاً، ويثبتون أضدادها، كما تقدّم.

□ أو صفات تكون كمالات من وجه، ونقصاً من وجه آخر، كصفة الكيد، والمكر، فهذه للسلف الصالح فيها تفصيل، يجب فهمه ومعرفة، فهم يشتملها لله تعالى إثبات كمال، ويأتي ذلك في حال المقابلة بمثلها؛ لأن ذلك يدل على أن فاعل هذه الصفة ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل ما يقابلونه، وذلك كقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: من الآية ٣٠]، وينفون هذه الصفات في غير هذه الحالات؛ لأنها تكون صفات نقص بحقه سبحانه وتعالى.

أما الأدلة على إثبات أن لله أسماء حسنى وصفات عليا، فمن القرآن الكريم والسنة المطهرة، فهي كثيرة جداً:

فمن القرآن الكريم:

(١) قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْمَائِهِ سَيِّجَزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(٢) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

(٣) وقوله سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ

السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ

عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ومن السنة المطهرة ما يلي:

(١) ما جاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي

ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ

الْجَنَّةَ». (١)

(٢) وما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان

يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، فلما

رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سَلُّوهُ: لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ

ذَلِكَ؟؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا،

(١) رواه البخاري برقم (٧٣٩٢)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ»^(١).

وكما جاء في الدعاء المأثور: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»^(٢).

فمن هذه الأدلة من القرآن والسنة اتخذ أهل السنة والجماعة من السلف الصالح وأتباعهم منهمجهم في باب الأسماء والصفات؛ حيث أثبتوا أسماء الله وصفاته، كما وردت في الكتاب والسنة، بدون تأويل لها يخرجها عن معانيها الصحيحة، ويثبتون ما تدل عليه ألفاظ هذه الصفات من المعاني، بدون تحريف لتلك المعاني، مع اعتقادهم بأن ذلك لا يلزم منه تشبيه الخالق بالمخلوق؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].
فما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات أو أثبتته له رسوله ﷺ أثبتوه، وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ نفوه.

كما أنهم يعتقدون أنَّ نصوص الأسماء والصفات من المحكم الذي تُفهم معانيه؛ لذا فهم لا يَفَوِّضُونَ هذه المعاني، وإنما يَفَوِّضُونَ كيفية صفات الله ﷻ.

(١) رواه البخاري برقم (٧٣٧٥)، ومسلم برقم (٨١٣).

(٢) رواه أحمد (٣٩١/١ و ٤٥٢)، وابن أبي شيبة (٢٥٣/١٠)، وابن حبان (٢٥٣/٣) برقم (٩٧٢)، والحاكم (٦٩٠/١) برقم (١٨٧٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٧-٢٨) برقم (٧) وفي «الدعوات الكبير» (١٢٤/١) برقم (١٦٤-البلد)، انظر: «الصحيحة» (٣٨٣-٣٨٧) برقم (١٩٩).

وأسماء الله الحسنى ليست محصورة في التسعة والتسعين الواردة في حديث أبي هريرة السابق، بل لله أسماء حسنى استأثر بعلمها؛ كما في الدعاء المأثور: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»^(١). الحديث.

وقول الناظم: (الطَّرَازُ الْأَوَّلُ)، المراد بهم أصحاب النبي ﷺ وأهل القرون المفضلة، حيث اقتفى صاحب المنظومة في هذا الباب طريق أصحاب الرسول ﷺ ومن تبعهم بإحسان في طريقة إثبات الأسماء والصفات.

وأما الذين يُلحدون في الأسماء والصفات فهم فرق كثيرة، بعضها أشدُّ جرماً من بعض، وهي الفرق التالية:

﴿١﴾ الجهمية: وهؤلاء يُنكرون الأسماء والصفات جميعاً، فحكم عليهم بالكفر جهوراً أهل العلم؛ لأنهم كذبوا القرآن الكريم.

﴿٢﴾ المعتزلة: ^(٢) وهؤلاء يُثبتون الأسماء على أنها ألفاظ مُجرَّدة عن المعاني، وينفون الصفات كلها الذاتية والفعلية، وهم جهميّة، بالإضافة إلى القول بخلق القرآن، وبدع منكرة جاء ذكرها في كتب

(١) سبق تخريجه (ص ٩٨).

(٢) وهم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري. انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣/١٨٢-١٨٣).

أهل العلم.

﴿٣٩﴾ الأشاعرة والماتريدية ومن تبعهم، وهؤلاء يشتون الأسماء وبعض الصفات، ويؤولون بعضها تأويلاً مذموماً، فراراً بزعمهم من تشبيه الخالق بالمخلوق.

وهذا على حدّ زعمهم الفاسد؛ حيث علّلوا بقولهم: إن المخلوقين يُسمّون ببعض تلك الأسماء، ويوصفون بتلك الصفات، فيلزّم من ذلك الاشتراك في كيفية الاسم والصفة. فصاروا بذلك إلى التأويل المذموم، كتأويل اليد بالنعمة، أو القدرة، والاستواء بالاستيلاء، ونحوها من الصفات الفعلية.

﴿٤٠﴾ الكلائية: وهذه الفرقة اشتهرت بالتأويل المذموم كالماتريدية والأشاعرة، بل الأشاعرة تابعون لهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وجماع الأمر في ذلك أن الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام:

﴿١﴾ قسم يقولون: تجرئ على ظاهرها، وهم السلف الصالح الذين يقولون: إنها تثبت على وجه يليق بعظمة الله وكبريائه.

﴿٢﴾ والقسم الآخر المشبهة: الذين يشبهون صفاته بصفات المخلوقين.

﴿٣﴾ و﴿٤﴾ وأما القسمان اللذان يتفان ظاهرها، فهم الجهمية ومن تفرّع

عنهم، فقسم منهم يؤولها بمعانٍ أخرى. وقسم منهم يقولون: الله أعلم بما أراد منها.

وأما القسمان الواقفان:

﴿٥﴾ فقسم يقولون: يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله، ويجوز

ألا يكون المراد صفة لله. وهذه طريقة بعض من الفقهاء وغيرهم.

﴿٦﴾ وقسم يمسكون عن هذا كلّهُ، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.

فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عنها. والصواب في آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة السلفية. ^(١) اهـ

قلت: والمراد بالطريقة السلفية إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات وما أثبتته له رسوله عليه الصلاة والسلام كذلك، على التفصيل الذي سبق ذكره في هذا الشرح المختصر.

(١) «المقيلة المحموية الكبرى» لابن تيمية (ص ٧١).

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَرَدُّ عُهُدَتَهَا^(١) إِلَى نُقَالِهَا ﴿٨﴾ وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

الشرح:

قوله: (وَأَرَدُّ عُهُدَتَهَا)، أي: جميع نصوص الأسماء والصفات، (إِلَى نُقَالِهَا) يعني إلى من نقلوا نصوص الصفات وآمنوا بها وبمعانيها اللاتئة بعظمة الله وجلاله، ابتداءً بالرسول ﷺ، ومن بعده الصحابة الكرام، ثم من تبعهم وسار على نهجهم من الأئمة الأعلام.

فدين الإسلام ثبت بالنقل، أي: نقل الثقة عن الثقة رواية ودراية، وبيان ذلك أن القرآن الكريم الذي نزل في خلال ثلاث وعشرين سنة سمعه جبريل عليه السلام من ربِّ العالمين، وبلغه محمداً عليه الصلاة والسلام كاملاً غير منقوص في المدة المذكورة، وبلغه نبينا محمداً ﷺ أصحابه الكرام، وأقرأهم إياه كاملاً غير منقوص، فمنهم من استظهره، ومنهم من أخذ نصيبه منه بقدر ما كتب له، وبعد ذلك أخذه من بعدهم بحسب الأجيال المتعاقبة بسند متصل إلى يومنا هذا. وكذلك السنة المطهرة نُقلت عن النبي ﷺ رواية العدل عن العدل، كاملة موفورة، ونُحِّي عنها ما كان مكذوباً وموضوعاً، أو ضعيفاً غير معتبر، حراسة للدين، وصيانة لسنة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) في نسخة: [عُقْبَتَهَا].

وقوله: (وَأَصُونُهَا ...) معناه: ألتزم وجوب صيانتها عن التحريف والتأويل الباطلين، والتعطيل والتشويه والتمثيل، وكما يجب أيضاً صيانتها عما يتخيَّله أهل الباطل من أهل البدع والضلال على اختلاف مللهم ونحلهم المخالفة لأهل السنة والجماعة السابقين منهم واللاحقين، وأعني بأهل الملل والنحل من ضلوا في هذا الباب أو غيره. وكذلك صيانتها ببيان الحق فيها، والرد على من انحرفوا عن جادة الحق والصواب.

ولقد كان لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ اليد الطولى في بيان الحق ونصرته، ورد الباطل ودحضه، رغم ما لاقى من شر أهل البدع، وتلك مؤلفاته تترى بما ذكرنا وغير ما ذكرنا من كل كلم طيب، فجزاه الله عن هذا البيان والصون لشريعة الإسلام خير الجزاء.

قال رحمه الله:

قُبْحًا لِمَنْ بَدَّ الْقُرْآنَ^(١) وَرَاءَهُ ﴿٩﴾ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ

الشرح:

✽ المسألة السادسة: هي في بيان ذم من استدلَّ بكلام البشر، وترك الاستدلال بالوحيين، كالشاعرة ومن لف لفهم من المتكلمين.

فقد توجه الشيخ في هذا البيت بالذم لمن يترك الاستدلال بما قال الله وقال رسوله ﷺ في باب الأسماء والصفات، ويعمد إلى الاستدلال بأقوال أهل الباطل، كالأخطل النصراني وغيره، ممن لا يجوز أن يُستدل بكلامهم في شيء من أبواب العلم الشرعي على اختلاف موضوعاته الجليلة، سواء في هذا الباب - باب الأسماء والصفات - أو غيره من أبواب العقيدة والشرعية.

إذ لا بد من الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة بالفهم الصحيح، والتفاعل معها في الحياة العلمية والعملية قولاً، وفعلًا، ظاهرًا، وباطنًا، على نهج قول الله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: من الآية ٧]، مع الالتزام التام بمنهج الرسل الكرام والأنبياء العظام في دعوتهم المرضية، والتخلق بأخلاقهم الزكية، المنطلقة من القواعد الشرعية التي

(١) في نسخة: [الكتاب].

عرفها ورثتهم، ونشروها في كل زمان ومكان، فنعم المورثون، ونعم الوارثون، فكن وارثًا للعلم أيها المسلم، ومورثًا له، كي تحشر في زمرة الرسل الكرام والأنبياء العظام، وورثتهم من الأئمة الأعلام في دار السلام، جعلنا الله معهم بمنه وكرمه.

وفي قوله: (قَالَ الْأَخْطَلُ^(١)) يشير إلى الذين استدلوا بقول الشاعر النصراني المدعو بالأخطل على صفة الكلام، وتركوا الآيات الكريمات، والأحاديث الصحيحة والصريحة في إثبات أن القرآن كلام الله حقيقة حروفه وكلماته وألفاظه ومعانيه. وتركوا أيضًا تفسير السلف الصالح وأتباعهم الذين هم أولى بفهم نصوص الكتاب والسنة، وأولى بفهم أبواب العلم، لاسيما هذا الباب العظيم؛ الذي هو أصل الدين وقاعدته، وعمدوا إلى الاستدلال بأقوال من لا يُعتمد بأقوالهم.

ولقد ذكر ابن تيمية رحمه الله في «فتاواه» قوله: وأما ما يثبت بالعقل فلا بد أن يتصوره القائل به، وإلا كان قد تكلم بلا علم، فالنصارى تتكلم بلا علم، فكان كلامهم متناقضًا، ولم يحصل لهم قول معقول، كذلك من تكلم في كلام الله بلا علم كان كلامه متناقضًا، ولم يحصل له قول يُعقل؛ ولهذا كان

(١) شاعر نصراني، اسمه غيَّاث بن غوث التغلبي، نشأ في العراق بين قومه تغلب، فصيح سليط اللسان، مدمن على شرب الخمر، توفي سنة (٩٢هـ) وعمره (٧٠ سنة). «سير أعلام النبلاء» (٥٨٩/٤)، و«الأعلام» للزركلي (١٢٣/٥).

مما يشنع به على هؤلاء أنهم احتجوا في أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام - كلام الله، وكلام جميع الخلق - بقول شاعر نصراني يقال له: الأخطل:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفَوَادِ وَإِنَّمَا
جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا

وقد قال طائفة: إن هذا ليس من شعره، وبتقدير أن يكون من شعره، فالحقائق العقلية، أو مسمى لفظ الكلام الذي يتكلم به جميع بني آدم لا يرجع فيه إلى قول ألف شاعر فاضل، دع أن يكون شاعرًا نصرانيًا اسمه الأخطل، والنصارى قد عُرِفَ أنهم يتكلمون في كلمة الله بما هو باطل، والخطل في اللغة هو الخطأ في الكلام. اهـ^(١)

قلت: لذلك أشار إلى هذا البيت الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وخطأ من تمسك به واستدل به على أصل من أصول الدين، وهو معرفة حقيقة الكلام كلام الله، وغيرها من العقائد، وهذا الشاعر الذي استدل بقوله هؤلاء على صفة الكلام إذ قالوا: إن الكلام معنى متعلق بذات الله لا حرف ولا صوت

أقول: هذا الشاعر على فرض ثبوت أن هذا البيت من شعره ليس ممن يُعتدُّ به في هذا المقام الذي هو بحث الاعتقاد وإنما يعتدُّ بأقوال أصحاب العلوم الشرعية التي في مقدمتها العقيدة الإسلامية الصحيحة بما تشتمل عليه من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحكيمة.

ولقد وقع في ذلك كثير من أهل الفرق المؤولة، فلقد أولت الأشاعرة بعض نصوص الصفات تأويلًا باطلاً، ومنها صفة الاستواء^(١)، حيث فسروها بالاستيلاء، فقالوا في قول الله عزَّ شأنه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، أي: استولى، واستدلوا على هذا التفسير الخاطيء بقول القائل:

ثُمَّ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مَهْرَاقِ

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - في أوَّل من قال: إن الاستواء بمعنى الاستيلاء -: فإن أوَّل من خُفِظَ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك - هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سميان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم. اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ. «فتاوى» (٥/ ٢٠).

قال رحمه الله:

وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقَّ رَبِّهِمْ ﴿١٠﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ يَغِيرُ كَيْفَ يَنْزِلُ

الشرح:

✽ المسألة السابعة من المسائل التي اشتملت عليها هذه المنظومة: رؤية المخلوق للمخالق ﷻ:

ففي هذه المسألة لابد من بيان أمرين مهمين من منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الرؤية:

الأمر الأول: إثباتهم رؤية المؤمنين ربهم في موضعين: في عرصات القيامة، وفي الجنة. والأدلة على إثبات هذه الرؤية نصوص كثيرة من القرآن والسنة:

فأما النصوص من الكتاب العزيز:

﴿١﴾ فقول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]،

فالأولى من النظارة وهي البهاء والحسن. والثانية من النظر، أي بعيني البصر إلى الرب الرحيم في جنات النعيم.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ من

النظارة، أي حسنة بهية مشرقة مسرورة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، أي: تراه عياناً، كما

رواه البخاري رحمه الله في "صحيحه": ﴿إِنَّكُمْ سَرَرُونَ رَبَّكُمْ عَيَانًا﴾. (١)

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٣٥)، من حديث جرير بن عبد الله البجلي رحمه الله.

وأما النصوص من السنة فقد ثبتت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها، ولا منعها؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما في "الصحيحين": أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تَصَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَيْسَ دُونَهُمَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَذَلِكَ». (١) وفي "الصحيحين": عن جرير رضي الله عنه، قَالَ: نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَلَا قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». (٢) وفي "الصحيحين": عن أبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى اللَّهِ ﷻ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ». (٣)

وفي أفراد مسلم: عن صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ -: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ وَهِيَ الزِّيَادَةُ»، ثُمَّ

(١) رواه البخاري برقم (٧٤٣٧ و ٧٤٣٨)، ومسلم برقم (١٨٢)، من حديثهما معاً.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٣٤)، ومسلم برقم (٦٣٣).

(٣) رواه البخاري برقم (٧٤٤٤)، ومسلم برقم (١٨٠).

تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: من الآية ٢٦].^(١)

وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهداة الأنام. ومن تأوّل ذلك بأن المراد به: ﴿إِلَىٰ﴾ مفرد الآلاء، وهي النعم، كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، قال: تنتظر الثواب من ربّها.^(٢) رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد.^(٣)

وكذا قال أبو صالح أيضاً^(٤)، فقد أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه، وأين هو من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟! قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا حَجَبَ الْكُفَّارَ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْأَبْرَارَ يَرَوْنَهُ بِالْغَيْبِ.^(٥)

(١) رواه مسلم برقم (١٨١).

(٢) رواه ابن جرير (٧٢/٢٤).

(٣) انظر: "تفسير الطبري" (٧٢/٢٤-٧٣). ورواه عبد بن حميد بسند صحيح؛ قاله الحافظ في "فتح الباري" (٤٢٥/١٣).

(٤) رواه الطبري (٧٣/٢٤)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٥٤٤/١٣).

(٥) ثبت هذا عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ بمعناه من طرق: فرواه عنه المزني: أخرجه اللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٤٦٨/٣) برقم (٨٠٩).

□ ورواه عنه الربيع بن سليمان، أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان" (١٥٤/١٠)، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٥٠٦-٥٠٥/٣) برقم (٨٨٤)، والبيهقي في "مناقب الشافعي" (٤١٩/١)، وابن عبد البر في "الاستقراء" (ص٧٩)، وابن عساكر في "تاريخه" (٤٥٨/٢٤) و(٣١٣/٥١).

□ ورواه عنه محمد بن عبد الحكم، أخرجه اللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٤٦٩/٣) =

ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دلّ عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، قال ابن جرير: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا المبارك، عن الحسن: ﴿وَيَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، قال: حَسَنَةٌ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، قال: تَنْظُرُ إِلَى الْخَالِقِ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْصُرَ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى الْخَالِقِ.^(١) اهـ^(٢)

ومن الكتاب العزيز أيضاً قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة يونس: ٢٦].

فقد فسّر النبي ﷺ الحسنى: بالجنة، والزيادة: بالنظر إلى الله ﷻ في

برقم (٨١٠).

□ ورواه عنه إبراهيم بن محمد بن هرم، أخرجه ابن بطّة في "الإبانة الكبرى" (٥٩/٣) برقم (٥٤-الأثيوبي)، وأبو نعيم في "الحلية" (١١٧/٩)، والبيهقي في "الاعتقاد" (ص١٤٤-أبو العينين) وفي مناقب الشافعي (٤٢٠/١) وفي معرفة السنن والآثار (١٩١-١٩٢) برقم (٣٤٦-قلعجي)، وابن عساكر في "تاريخه" (٣١٤/٥١).

□ ورواه عنه أبو القاسم الأنماطي، أخرجه ابن بطّة في "الإبانة الكبرى" (٦٠/٣) برقم (٥٥-الأثيوبي).

(١) رواه الطبري في "تفسيره" (٧٢/٢٤).

□ ورواه ابن خزيمة في "التوحيد" (٤٥٦/٢)، وعبد الله بن أحمد في "السنن" (٤٥٦/٢ و٤٩٧) برقم (١٠٣٢ و١١٤٦)، والأجري في "التصديق بالنظر" (ص٣٥) برقم (١٥)، والدارقطني في "الرؤية" (١٦١-١٦٢) برقم (٢٤١)، والبيهقي في "الاعتقاد" (ص١٣٣)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٤٦٤/٣) برقم (٨٠٠)، من طرق عن المبارك عن الحسن نحوه.

(٢) "تفسير ابن كثير" (٢٧٩-٢٨١/٨) باختصار.

جنات النعيم.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح الحسن في الدار الآخرة، كقوله تعالى:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، وزيادة على ذلك أيضًا، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحدود، والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضلته ورحمته، وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق ^(١)، وحذيفة بن اليمان ^(٢)،

(١) رواه إسحاق في "مسنده" (٧٩٣/٣) برقم (١٤٢٤) وهناد في "الزهد" (١٣١/١) برقم (١٧٠) وابن أبي عاصم في "السنة" (٣٣١/١) برقم (٤٨٣-الجوابرة)، وابن أبي الدنيا في "صفة الجنة" (ص ٢٢١) برقم (٣٤٢)، وعبد الله بن أحمد في "السنة" (٢٥٧/١) برقم (٤٧١)، وابن خزيمة في "التوحيد" (٤٥٠/٢) برقم (٢٦٤-٧)، والطبري في "تفسيره" (٦٣/١٥) برقم (١٧٦١٠)، والآجري في "التصديق بالنظر" (ص ٣٧) برقم (١٩ و ٢٠ و ٢١)، وابن منده في "الرد على الجهمية" (ص ٥١) برقم (٨٤-٣)، والدارقطني في "الرؤية" (٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩)، والنحاس في "الرؤية" (١٣٥) برقم (١٢-المعراج)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٤٥٨/٣) برقم (٧٨٤) والبيهقي في "الأسماء والصفات" (١٠٣/٢) برقم (٦٦٦) وفي "الاعتقاد" (ص ١٣١)، من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن عامر ابن سعد عنه.

(٢) رواه إسحاق في "مسنده" (٧٩٣/٣) برقم (١٤٢٤)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٣٨١/١٣)، =

وعبد الله بن عباس ^(١)، وسعيد بن المسيب ^(٢)، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى ^(٣)، وعبد الرحمن بن سابط ^(٤)،

= وهناد في "الزهد" (١٣١/١) برقم (١٧٠)، وابن أبي عاصم في "السنة" (٣٣٠/١) برقم (٤٨٢)، وعثمان الدارمي في "القبض على المريسي" (٧١٩/٢) وفي "الرد على الجهمية" (ص ١١٨) برقم (١٩١)، وعبد الله بن أحمد في "السنة" (٢٥٨/١) برقم (٤٧٣)، وابن خزيمة في "التوحيد" (٤٥١/٢) برقم (٨-٢٦٤-٩-٢٦٥)، وابن أبي الدنيا في "صفة الجنة" (ص ٢٢٢) برقم (٣٤٣)، والطبري في "تفسيره" (٦٤/١٥) برقم (١٧٦١٤)، والمحاملي في "الأمالي" (٣٦٦) برقم (٤١٥)، والآجري في "التصديق بالنظر" (ص ٣٨) برقم (٢٢)، والدارقطني في "الرؤية" (٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (١٠٣/٢) برقم (٦٦٦)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٤٥٨/٣) برقم (٧٨٣ و ٧٨٤)، من طرق عن أبي إسحاق، عن مسلم بن نذير عنه.

(١) رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" (٢٧١-٢٧٢) برقم (٢٠٥) وابن مردويه كما في "تخريج الكشاف" للزيلعي (٢/٢٧٢)، من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٤٥٩-٤٦٠)، من طريق السدي عن أبي مالك وأبي صالح عنه.

(٢) رواه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٤٦٠/٣) برقم (٧٨٩).

(٣) رواه ابن المبارك في "الزهد" -زيادات نعيم- (٧٩-٨٠) برقم (٢٨٢)، وعبد الرزاق في "تفسيره" (٢/٢٩٦)، وابن أبي الدنيا في "صفة الجنة" (١٠٥) برقم (٩٦) و (٢١٩) برقم (٣٣٧ و ٣٣٨)، والطبري في "تفسيره" (٦٦-٦٧/١٥) برقم (١٧٦١٩-١٧٦٢٣)، والدارمي في "الرد على الجهمية" (ص ١١٨) برقم (١٩٢)، وابن خزيمة في "التوحيد" (٤٤٨-٤٥٠) برقم (٤-٢٦١، ٥-٢٦٢، ٦-٢٦٣)، وعبد الله بن أحمد في "السنة" (٢٤٤/١) برقم (٤٤٥)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٩٤٦/٦) برقم (١٠٣٤٨)، والدارقطني في "الرؤية" (ص ١٥٩-١٦٠) برقم (٢٣١-٢٣٦)، وأبو بكر الشافعي في "الغيلانيات" (٨١٨/٢) برقم (١١٢٩)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٤٦١/٣) برقم (٧٩١)، من طرق عن ثابت البناني عنه.

(٤) رواه سعيد بن منصور (٣١١/٥-التفسير)، وابن أبي شيبة في "المصنف" (٤٢٩/١٣)، وابن أبي الدنيا في "صفة الجنة" (ص ٢٢٢) برقم (٣٤٤)، وابن جرير في "التفسير" (٦٩/١٥) برقم (١٧٦٣٢)، وابن أبي حاتم في "التفسير" (١٩٤٥/٦) برقم (١٠٣٣٩)، والدارقطني في "الرؤية" (ص ١٦٣) برقم (٢٤٥ و ٢٤٦)، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٤٦٢/٣) برقم =

ومجاهد^(١)، وعكرمة^(٢)، وعامر بن سعد^(٣)، وعطاء، والضحاك^(٤)،
والحسن^(٥)، وقتادة^(٦)، والسدي^(٧)، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم من
السلف والخلف.

وقد وردت فيه أحاديث كثيرة عن النبي، فمن ذلك:

ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عفان، أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت

(٧٩٥)، من طرق عن جرير بن عبد الحميد عن ليث بن أبي سليم عنه.

(١) ذكره اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤٦٣/٣) برقم (٧٩٧)، من كتاب ابن أبي

حاتم، من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن ليث، عنه.

(٢) ذكره اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣٦٢-٣٦٣) برقم (٤٩٦)، من كتاب ابن

أبي حاتم، من رواية الحكم بن أبان عنه.

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» - زوائد نعيم - (١٢٧) برقم (٤٢٠)، والدارمي في «الرد على الجهمية»

(ص ١١٩) برقم (١٩٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٥٢/٢)، وعبد الله بن أحمد في «السنة»

(٢٥٧/١) برقم (٤٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٦٣/١٥-٦٤ و ٦٨) برقم (١٧٦٢ و ١٧٦١٣)

و (١٧٦٢٨)، والدارقطني في «الرؤية» (ص ١٦٠-١٦١) برقم (٢٣٧-٢٣٩)، واللالكائي في «شرح

أصول اعتقاد أهل السنة» (٤٦١/٣) برقم (٧٩٢ و ٧٩٣)، من طريقين عن أبي إسحاق عنه.

(٤) رواه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ١١٨) برقم (١٩٣)، والدارقطني في «الرؤية»

(ص ١٦٢-١٦٣) برقم (٢٤٣ و ٢٤٤)، من طريق جوير عنه.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٦٧/١٥) برقم (١٧٦٢٤)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ١٣٢)،

واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٤٦٠/٣) برقم (٧٩٠)، من طريقين عنه. ورواه

عبد بن حميد كما في «فتح الباري» (٣٤٧/٨).

(٦) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٤/٢)، وابن جرير في «التفسير» (٦٨/١٥) برقم (١٧٦٢٩)

و (١٧٦٣٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٥٧-٤٥٨) برقم (١١-٢٦٨ و ١٢-٢٦٩)،

والدارقطني في «الرؤية» (ص ١٦٤) برقم (٢٤٨) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»

(٣٦٣/٣) برقم (٤٩٨)، من طرق عنه.

(٧) رواه الدارقطني في «الرؤية» (ص ١٦١) برقم (٢٤٠) من طريق الحكم بن ظهير عنه.

البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ تَلَا هَذِهِ
الآيَةَ: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، وَقَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ
وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَىٰ مُنَادٍ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ
يُنْجِزَكُمْوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يَنْقُلْ مَوَازِينَنَا؟! أَلَمْ يُبَيِّضْ وَجُوهَنَا،
وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَيُجِرَّنَا مِنَ النَّارِ؟! قَالَ: فَيُكْشَفُ لَهُمُ الْحِجَابُ، فَيَنْظُرُونَ
إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَلَا أَقَرَّ
لَأَعْيُنِهِمْ»^(١)، وهكذا رواه مسلم^(٢). اهـ^(٣)

وأما الأدلة على رؤية المؤمنين لربهم سبحانه في الجنة من السنة المطهرة ما يلي:

﴿١﴾ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ
اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا:
لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» الحديث^(٤)، وقد تقدم.

﴿٢﴾ وعن صهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ،

(١) رواه أحمد (٣٣٣/٤).

(٢) رواه أحمد (٣٣٢/٤)، ومسلم برقم (١٨١)، والترمذي برقم (٢٥٥٢)، وابن ماجه برقم (١٨٧)،

من طرق عن حماد بن سلمة به نحوه.

(٣) «تفسير ابن كثير».

(٤) رواه البخاري برقم (٧٣٣٧ و ٧٣٣٨)، ومسلم برقم (١٨٢).

قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ
وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَيُكْشِفُ الْحِجَابَ،
فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ^(١)، وقد سبق
ذكره قريباً.

فهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل دلالة واضحة صريحة على أن
المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، فالحمد لله الذي أكرم المؤمنين بجنته،
وتجلى لهم ليمتعتوا برؤيته، وحجب المجرمين عن رؤيته، كما حرمهم من
جنته جزاءً وفاقاً.

والأمر الثاني: أقسام الناس في الرؤية؛ حيث ينقسمون فيها إلى طرفين ووسط:

□ الطرف الأول: الجهمية وأفراخهم المعتزلة: غلوا في نفي الرؤية
مطلقاً، فقالوا: إن الله لا يرى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

واستدلوا بعمومات من القرآن لا تصلح دليلاً لهم؛ منها قول الله ﷻ:

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فأولوا الإدراك الوارد في هذه الآية بمعنى: الرؤية.

إذ قالوا في معنى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾، أي: لا تراه؛ فيكون معنى الآية
عندهم: لا تراه الأبصار.

(١) سبق تخريجه (ص ١١٥).

وهذا التفسير تفسير باطل، مخالف لتفسير السلف الصالح؛ فإن هذه
الآية ورد تفسيرها عن ابن عباس وغيره: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، أي: لا
تحيط به^(١)، فالله ﷻ لا يحيط به شيء من خلقه، بل هو المحيط بجميع
مخلوقاته؛ كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: من الآية ١١٠]، وقال في
حقه: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: من الآية ١٢]، وقال: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾
[البروج: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصلت: من الآية ٥٤]،
أي: علماً وقدره، ولا يلزم من نفي الإحاطة في الرؤية نفي الرؤية، بل الرؤية
للمؤمنين ثابتة في الجنة؛ بنصوص القرآن والسنة؛ كما قال تعالى: ﴿وَيُؤَمِّنُونَ
نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وكما قال النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ
رَبَّكُمْ..» الحديث^(٢)، وقد سبق ذكره قريباً.

□ الطرف الثاني: غلاة الصوفية^(٣)، وهم الذين غلوا في إثبات الرؤية،

(١) رواه الطبري (١٣/١٢) برقم (١٣٦٩٤)، من طريق عطية العوفي عنه.

□ ورواه الطبري (١٣/١٢) برقم (١٣٦٩٥)، عن قتادة.

□ ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٨٩/١) برقم (٤٣٤) - «لظلال»، والطبري (٥١٣/٢٢)،
وابن أبي حاتم (١٣٦٣/٤) برقم (٧٧٣٧)، والأجري في «التصديق بالنظر» (٨٥-٨٦) برقم
(٦٣)، والدارقطني في «الرؤية» (١٨٧) برقم (٣٠٦ و ٣٠٧)، وابن عساكر في «تاريخه»
(٣٥٥/١٣) من طريق عمرو بن حماد بن طلحة القناد عن أسباط بن نصر عن سماك عن
عكرمة معناه.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٣٤)، ومسلم برقم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله بن عيسى.

(٣) الصوفية طائفة من الفرق الهالكة المبتدعة، اختلف العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية، =

فأثبتوها في الدنيا والآخرة.

فهم يعتقدون بأن زعماءهم يرون الله في الدنيا والآخرة، وكذبوا؛ إذ لم يستندوا إلى برهان، بل إلى التخرُّص والهديان.

□ والطرف الثالث: أهل القول الوسط أهل السنة والجماعة، الوسط بين الطرفين السابقين، الجهمية الغلاة في نفي الرؤية لله، والصوفية الغلاة في إثباتها في الدنيا والآخرة.

فهم يثبتون رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، في موضعين - كما سبق -:

○ الأول: في عرصات القيامة.

○ والثاني: في الجنة: دار النعيم المقيم، والتمتع برؤية الرب الرحيم.

وينفون رؤية المؤمنين وغيرهم عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الدنيا؛ فإن الله لا يراه أحد في الدنيا الفانية؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ

= ولعل سبب تسميتهم بالصوفية نسبة إلى لبس الصوف.

ومن أسماء الصوفية: الصوفية، أرباب الحقائق، الفقراء، الجوعية، الملامية أو الملامية. وقد اختلف في ظهور المذهب الصوفي، فقيل: سنة (١٥٠هـ). وقيل: سنة (١٨٩هـ). وقيل: ظهر بعد المائتين من الهجرة. وقيل: بعد القرون الثلاثة الأولى، أي: في القرن الرابع الهجري. ومن عقائدهم الفاسدة وقولهم على الله بغير علم: قولهم بوحدة الوجود، والحلول، والاتحاد، ووحدة الشهود، والكشف، والقطب، والغوث، ومن كبار دعاة هذه الطائفة الضالة: الحلاج، وابن عربي، وابن الفارض، والبسطامي، والجيلي، وغيرهم كثير. انظر: "فرق معاصرة" (ص ٥٧٥) وما بعدها، بتصرف شديد واختصار.

رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والخلاصة: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في دار النعيم على اختلاف منازلهم، وذلك من أجل نعيمهم، ولم يره ولا يراه أحد في الدنيا، لا من الرسل - عليهم السلام -، ولا ممن هو دونهم.

وأن جميع الكافرين لا يرون ربهم يوم القيامة، بل هم محجوبون عنه؛ بأدلة الكتاب والسنة، عقوبة لهم.

وأما المنافقون: فإنهم يرون الله مع المؤمنين في عرصات القيامة، فيتهيئون للسجود كما سجد المؤمنون، فتعود ظهورهم طبقاً واحداً، أي: لا يقدرون على السجود؛ كما قصَّ الله ﷻ ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خِشَعَةً أَبْصَرُوهُمْ تَرْمَهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

وكما جاء في الحديث الثابت عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُكْشَفُ رَبَّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا

وَاحِدًا^(١).

قوله : وَإِلَى السَّمَاءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

✽ المسألة الثامنة من المسائل التي اشتملت عليه المنظومة: إثبات صفة النزول لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

يثبت صاحب المنظومة الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في هذا الشطر الأخير من البيت صفة النزول لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على طريقة ومنهج أهل السنة والجماعة، وأن منهج أهل السنة والجماعة السلف الصالح في إثبات هذه الصفة لله تعالى وأنها صفة فعلية من غير سؤال عن كيفية النزول، أو تأويل لها، وذلك لأخذهم النصوص على ظاهرها في ذلك.

ومن الأدلة الصريحة في إثبات صفة النزول لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما يلي:

❶ ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ اسْمُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»^(٢).

وأما كيفية النزول فلا يجوز أن يُسأل عنها، كما لا يجوز أن يُسأل عن

(١) رواه البخاري برقم (٤٩١٩)، ورواه البخاري برقم (٧٤٣٩)، ومسلم برقم (١٨٣)، نحوه، من حديثه مطوّلًا.

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٩٤)، ومسلم برقم (٧٥٨).

كيفية ذات الله وصفاته عمومًا؛ وإنما يُسأل عن معانيها، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة الطائفة الناجية المنصورة في الرد على من يسأل عن كيفية الصفات؛ لأنهم كانوا إذا قال لهم الجهمي: إن الله ينزل إلى السماء، فكيف ينزل؟ يقولون: إن الله أخبرنا أنه ينزل، ولم يخبرنا كيف ينزل.

أو تقول كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ حين سئل عن كيفية الاستواء لله؟ فأجاب بقوله: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.^(١)

والفرق التي انكرت ذلك: هي إما فِرْق منكرة لجميع الأسماء والصفات، أو لجميع الصفات فقط كالجهمية والمعتزلة، الذين ينفون هذه الصفة كبقية الصفات، وإما مؤولة كالأشاعرة والماتريدية والكَلابية؛ الذين يؤوّلون النزول بنزول الرحمة، أو نزول الأمر.

فأهل السنة والجماعة السلف الصالح يشبّون صفة النزول لله تعالى صفة

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٠٥-٣٠٦) برقم (٨٦٧)، وفي «الاعتقاد» (ص ١١٩- أبو العنين)، من طريق يحيى بن يحيى، قال: كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل، فذكره. قال الحافظ في «فتح الباري» (٤٠٧/١٣): إسناده جيد.

□ ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٠٤-٣٠٥) برقم (٨٦٦) عن أبي الربيع الرشدني عن ابن وهب، قال: كنت عند مالك فدخل رجل فقال، فذكر نحوه. وصحّح إسناده الذهبي في «العلو للعلي الغفاري» (ص ١٣٨- أشرف عبد المقصود)، وذكره الذهبي من رواية جماعة عن مالك، وقال: هذا ثابت عن مالك. وصححه الألباني في «مختصر العلو» للذهبي (ص ١٤١-١٤٢).

فعليَّة، وأنه ينزل متى شاء، وكيف شاء، نزولاً حقيقياً؛ انطلاقاً من النصوص الواردة في ذلك، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، كما يليق بجلاله وعظمته، دون البحث أو السؤال عن الكيفية.

قال رَحِمَهُ

وَأَقْرُبَ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي ﴿١١﴾ أَرْجُو بَأْنِي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ

الشرح:

المسألة التاسعة: في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في وجوب الإيمان بالميزان.

الذي توزن به الأعمال يوم القيامة، وذلك -أي: وجوب الإيمان بالميزان- من أمور الإيمان باليوم الآخر، كما تتضمن هذه المسألة الرد على منكري ذلك من أهل الفكر المنحرف، والمعتقد الفاسد.

قوله: وَأَقْرُبَ بِالْمِيزَانِ

في هذا الشطر بيان معتقد أهل السنة والجماعة، وأنهم يؤمنون بالميزان؛ لأنه جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٨]، وكما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦-١١].

وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ * بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَنَتَقَلَّبُ إِلَيْهِمْ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ * وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصْلَى

سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي آهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾
[الانشقاق: ٧-١٥].

وكذلك في السنة المطهرة؛ كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْ بَخٍ لِحَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِي حَتْسَبِهِ»^(١).

ولما ثبت عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ سَجْدًا، كُلُّ سَجْدٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا، أَظْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥٨/٦)، والنسائي في «الكبرى» (٥٠/٦) برقم (٩٩٩٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٦٣/٢) برقم (٧٨١-«الظلال»)، وفي «الأحاد والمثاني» (٣٤٧/١) برقم (٤٧٠)، والدولابي في «الكنى» (١٠٦/١) برقم (٢١٨)، والطبراني في «الكبير» (٣٤٨/٢٢) برقم (٨٧٣) وفي «الشاميين» (٣٥٧/١ و ٤٥٥) برقم (٦١٥ و ٨٠٤)، وفي «الدعاء» (٤٧٩) برقم (١٦٨٠)، وابن حبان (١١٤/٣) برقم (٨٣٣)، والحاكم (٦٩٢/١) برقم (١٨٨٥)، وتمام في «الفوائد» (٢٢١/٢) برقم (١٥٨٠-السلفي)، وأبو نعيم في «معركة الصحابة» (٢٥٤/١) برقم (٨٦٦) و (٨١٨/٢) برقم (٢١٤٣) و (٢٩١٥-٢٩١٦) برقم (٦٨٣٣)، والبيهقي في «الشعب» (٢١٦/١٢) برقم (٩٢٩٩-الرشد)، من طريقين عن أبي سلام الأسود، حدثني أبو سلمى مولى رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (١٠١/١٠-«البتية»): رواه الطبراني من طريقين ورجال أحدهما ثقات. وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٢٠٤).

مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، فَتَوَضَّعُ السَّجَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»^(١).

فهذه النصوص تدلُّ دلالة واضحة على أن الميزان حقٌّ، توزن فيه الأعمال يوم القيامة، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاغِبٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارة: ٦-١١].

قوله: وَالْحَوْضِ الَّذِي ♦ أَرْجُو بَأْتِي مِنْهُ رِيًّا أَنَّهُلُ

الشرح:

المسألة العاشرة من المسائل التي اشتملت عليها المنظومة:
إثبات الحوض.

أي: ومن معتقد أهل السنة والجماعة الإيمان بالحوض الذي خصَّصه

(١) رواه أحمد (٢١٣/٢)، والترمذي برقم (٢٦٣٩)، وقال: حسنٌ غريبٌ. واللفظ له، وابن ماجه برقم (٤٣٠٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٦١/١-٤٦٢) برقم (٢٢٥)، والحاكم في «المستدرک» (٤٦/١ و ٧١٠) برقم (٩ و ١٩٣٧)، من طرق عن الليث بن سعد، عن عاصم بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الجبلي المصافري، قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ بِهِ. واللفظ للحاكم في روايته الأولى.

قال الحاكم في الموضع الأول: صحيح الإسناد على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وفي الثاني: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي أيضًا. وصححه الألباني في «الصحيحه» (٢٦١/١-٢٦٢) برقم (١٣٥).

اللهُ لَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ، وَأَنَّ الْكَوْثَرَ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، وَهُوَ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَاهُ اللهُ لَنَبِيِّهِ ﷺ.

والحوض هو الذي تواترت به الأحاديث، ورواه جمع غفير من أصحاب النبي ﷺ؛ فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَأْوُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِبْرَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا».^(١)

فَتَرَدُّ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ مَمَّنْ لَمْ يَغَيِّرْ دِينَهُ وَلَمْ يَبْدَلْهُ، فَيَشْرَبُ مِنْهُ، وَهُمْ مُتَفَاوِتُونَ تَفَاوُتًا عَظِيمًا فِي ذَلِكَ، بِحَسَبِ مَا أَسْلَفُوا فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ.

وَيُزَادُ عَنْهُ، أَيُّ: يَمْنَعُ مِنَ الْوُرُودِ عَلَى الْحَوْضِ كُلِّ مَنْ غَيَّرَ وَبَدَّلَ، يَعْنِي: غَيَّرَ دِينَ اللهِ، وَبَدَّلَ شَرْعَهُ الْمُطَهَّرَ، وَأَعْرَضَ عَنِ السُّنَّةِ الْكَرِيمَةِ؛ فَإِنَّهُ يَمْنَعُ وَيُطْرَدُ عَنِ الْحَوْضِ، وَمَنْ هُوَ لِأَهْلِ الْبَدْعِ وَالضَّلَالَاتِ الَّذِينَ عَادُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَمَنْ أَكْرَمَهُ اللهُ بِالْإِسْلَامِ فَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَمَاتَ عَلَى رِدَّتِهِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ ارْتِدَادِهِ؛ لِذَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَذُودُهُمْ، أَيُّ: تَمْنَعُهُمْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَقِيلَ: إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ قَالَ: فَأَقُولُ: بَعْدًا بَعْدًا أَوْ قَالَ سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي».^(٢)

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩)، ومسلم برقم (٢٢٩٢).

(٢) رواه أحمد (٣٣٣/٥)، والبخاري برقم (٦٥٨٣)، ومسلم برقم (٢٢٩٠ و ٢٢٩١)، =

وعن محمد بن زياد قال: سمعت أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا ذُودَنَّ رَجُلًا عَنْ حَوْضِي، كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ عَنِ الْحَوْضِ».^(١)

وعن هشام، قال: سمعت أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، وَمَوْعِدُكُمْ الْحَوْضُ».^(٢)

وعن أبي حازم، قال: سَمِعْتُ سَهْلًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ».^(٣)

فأهل السنة والجماعة - ومنهم ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ - فهو إمام من أئمة أهل السنة والجماعة المقتدئ بهم في باب الأسماء والصفات، والإيمان بالمغيبات، وغير ذلك من أبواب العلم الشرعي ووسائله - يؤمنون بما ورد في النصوص من أخبار هذه الأمور التي تكون في يوم القيامة.

= من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَلَفْظُهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي. فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي».

(١) رواه البخاري برقم (٢٣٦٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٠٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٧٩٣) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٦١).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٥٨٣)، ومسلم برقم (٢٢٩٠).

بعد ذلك ذكر الناظم حُسن رجائه في الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يكون ممن يشرب وينهل من الحوض الذي يؤمن به بقوله:

.....وَالْحَوْضِ الَّذِي ♦ أَرْجُو بَأْنِي مِنْهُ رِيًّا أَنْهَلُ

لأن حسن الظن بالكريم الرحيم واجب من واجبات الإسلام ومتهجه القويم.

وأنكر الحوض والميزان: الجهمية والمعتزلة والخوارج وأتباعهم، بدون دليل من شرع أو عقل، بل مجازفة وأتباعاً للهوى، استناداً إلى تأويلات باطلة، ليس لها أصل من شرع أو عقل، كما أسلفت قريباً.

قال رَحِمَهُ اللهُ:

وَكَذَا الصَّرَاطُ يَمُدُّ فَوْقَ جَهَنَّمَ ﴿١٢﴾ فَمُسْلَمٌ نَاجٍ وَآخِرُهُمْ هَلْ

الشرح:

✽ المسألة الحادية عشرة من المسائل التي اشتملت عليها المنظومة: الصراط.

في هذا البيت بيان لمعتقد أهل السنة والجماعة في إثبات الصراط الذي ورد ذكره في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فمن أدلته من القرآن الكريم قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [سريم: ٧١]، حيث فسّر الورود بالمرور على الصراط المنسوب على متن جهنم، تعبّره الخلائق على قدر أعمالهم.

□ ومن السنة المطهرة أحاديث كثيرة، أذكر منها هذا الحديث الثابت عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: إِنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُتَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةً بَدْرٍ، لَيْسَ دُونَهُ حِجَابٌ؟» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُتَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا

مُنَافِقُوها، فَيَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَذَعُوهُمْ فَيَضْرِبُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الرُّسُلِ بِأَمْرِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِبُ، مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطِفُ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْتِي بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدُلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ: أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرِ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرِ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا فَيَصُبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْجَنَّةُ فِي حِمْلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَسَيْتَنِي بِرِجْهٍ، وَأَحْرَقَنِي دُكَاؤُهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ

وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ، رَأَى بِهَجَّتِهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدَّمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا أَكُونُ أَشَقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبُّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَقْدُمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ النُّصْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: وَيَحَاكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ! أَلَيْسَ قَدْ أُعْطِيتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ ﷻ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذُنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: تَمَنَّ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. ^(١)

□ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُوضَعُ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، عَلَيْهِ حَسَكُ السَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيرُ النَّاسُ، فَتَاجِ مُسْلِمٌ خُدُوشَ بِهِ، ثُمَّ نَاجٍ وَخُبْسٌ وَمَنْكُوشٌ فِيهَا، فَإِذَا فَرَّغَ

(١) رواه البخاري برقم (٨٠٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٢).

اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، يَفْقِدُ الْمُؤْمِنُونَ رَجَالًا كَانُوا مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا، يُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ وَيُزَكُّونَ زَكَاتَهُمْ، وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ، وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ، وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ، يَقُولُونَ: أَيُّ رَبَّنَا عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي الدُّنْيَا، يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَحُجُّونَ حَجَّنَا، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا، لَا نَرَاهُمْ؟ قَالَ: فَيَقَالُ: اذْهَبُوا إِلَى النَّارِ، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا مِنْهُمْ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى قَدَمِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى سَاقِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى ثَدْيِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقِيهِ، وَلَمْ تَغْشِ الْوَجْهَ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، فَيَطْرَحُونَهُمْ فِي مَاءِ الْحَيَا، قِيلَ: وَمَا مَاءُ الْحَيَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهَا كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فَيَمَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، ثُمَّ يَتَجَلَّى اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا، فَمَا يَتْرَكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ، إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا»^(١).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١/٣)، وابن أبي شيبة (١٣/١٧٦-١٧٧)، وعنه ابن ماجه (برقم ٤٢٨٠)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/٧٦٦) برقم (٤٩٣)، والطبري في التفسير (١٨/٢٣٥-٢٣٦)، ويحيى بن صاعد في «زوائد زهد ابن المبارك» (٤٤٨) برقم (١٢٦٨)، والحاكم في «المستدرک» (٤/٦٢٨) برقم (٨٧٣٨)، من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله بن المغيرة بن مغيبي، عن سليمان بن عمرو الغنوي، حدثني ليث - وكان في حجر أبي سعيد - عن أبي سعيد الخدري به.

قال الحاكم رحمه الله: صحيح على شرط مسلم.

فالصراط جسر مورود يمرُّ به العباد بقدر أعمالهم، فمنهم الناجي الذي لا تمسه النار، كمن يمرُّ عليه كالبرق وكالريح أو كلمح البصر، ومنهم غير الناجي، فتخطفه الكلايب التي على الصراط، فتوبقهم في النار بقدر جرائمهم وأعمالهم ومعاصيهم.

وهذا الصراط الحسي يؤمن به أهل السنة والجماعة، وأنه لا وصول إلى الجنة إلا بعد المرور عليه، وقد دلَّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَنْ مَنَكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فإن الورود عند جمهور المفسرين المراد به المرور على الصراط.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:، وقال الحسن بن عرفة: حدثنا مروان بن معاوية، عن بكار بن أبي مروان، عن خالد بن معدان، قال: قَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْدَ مَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ: أَلَمْ يَعِدْنَا رَبَّنَا الْوُرُودَ عَلَى النَّارِ؟ قَالَ: قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَيْهَا وَهِيَ خَامِدَةٌ.^(١)

وقال عبد الرزاق: عن ابن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس

= قال العلامة الوادعي رحمه الله في تعليقه على «المستدرک» (٥/٤٩): الحديث ليس على شرط مسلم؛ لأن محمد بن إسحاق وعبيد الله بن المغيرة وسليمان بن عمرو ليسوا من رجال مسلم، وما روى لابن إسحاق إلا قدر خمسة أحاديث في الشواهد والمتابعات كما في «الميزان». وقال الألباني رحمه الله: إنما هو حسن فقط؛ لأن فيه محمد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث. «الصحيح» (٧/١٣٠)، تحت الحديث برقم (٣٠٥٤).

(١) ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/٢٣٠-٢٣١).

ابن أبي حازم، قال: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَاضِعًا رَأْسَهُ فِي حِجْرِ امْرَأَتِهِ، فَبَكَى فَبَكَتِ امْرَأَتُهُ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَتْ: رَأَيْتُكَ تَبْكِي فَبَكَتُ. قَالَ: إِنِّي ذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مریم: من الآية ٧١] فَلَا أَذْرِي أَنَّنَجُو مِنْهَا أَمْ لَا؟^(١)

وفي رواية: وكان مريضاً.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن يمان، عن مالك بن مغول، عن أبي إسحاق: كَانَ أَبُو مَيْسَرَةَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: يَأْتِيَتِ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي. ثُمَّ يَبْكِي، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا مَيْسَرَةَ؟ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَنَا وَارِدُهَا وَلَمْ نُخْبَرَ أَنَا صَادِرُونَ عَنْهَا.^(٢)

وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري، قال: قَالَ رَجُلٌ لِأَخِيهِ: هَلْ أَتَاكَ أَنَّكَ وَارِدُ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَهَلْ أَتَاكَ أَنَّكَ صَادِرٌ عَنْهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَفِيمَ الضَّحِكُ؟ قَالَ: فَمَا رُئِيَ ضَاحِكًا حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ.^(٣)

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٠/٣)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٢٣٢/١٨)، والحاكم في «المستدرک» (٦٣١/٤) برقم (٨٧٤٨)، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣١/١٨). ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤١٣/١٣)، عن ابن يمان به.

(٣) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣٤/١٨).

□ ورواه ابن المبارك في «الزهد» - رواية الحسين المروزي - (١٠٥) برقم (٣١١)، ورواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٢٦/٦) - من طريق سويد بن نصر عن ابن المبارك -: أخبرنا ابن عيينة عن رجل عن الحسن به نحوه.

=

وقال عبد الرزاق أيضًا: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو: أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الْوُرُودُ الدُّخُولُ، فَقَالَ نَافِعٌ: لَا، فَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وَرَدُّوا أَمْ لَا؟ وَقَالَ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: من الآية ٩٨]، أَوْرَدَهَا أَمْ لَا؟ أَمَّا أَنَا وَأَنْتَ فَسَنَدْخُلُهَا. فَانْظُرْ هَلْ نَخْرُجُ مِنْهَا أَمْ لَا؟ وَمَا أَرَى اللَّهَ مُخْرِجَكَ مِنْهَا بِتَكْذِيبِكَ، فَضَحِكَ نَافِعٌ!^(١)

وروى ابن جرير عن عطاء، قال: قَالَ أَبُو رَاشِدٍ الْحَرَوْرِيُّ وَهُوَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: من الآية ١٠٢]، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَيْلَكَ، أَمْجَنُونَ أَنْتَ؟ أَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: من الآية ٩٨]، ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ [مریم: ٨٦]، ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مریم: من الآية ٧١]، وَاللَّهِ إِنْ كَانَ دُعَاءُ مَنْ مَضَى: اللَّهُمَّ أَخْرِجْنِي

= □ ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥٠٠/١٣) عن يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الحسن قال: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا التَّقَوَّاءُ يَقُولُ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ.

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١١/٣)، ومن طريقه الطبري (٢٣٠/١٨).

□ ورواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٨٥١/٢) من طريق روح بن عباد، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ عَيْنَةَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَنَّ نَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ مَرَى ابْنَ عَبَّاسٍ، وَذَكَرَ نَحْوَهُ.

مِنَ النَّارِ سَالِمًا، وَأَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ غَانِمًا.^(١)

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عبيد المحاربي، حدثنا أسباط، عن عبد الملك، عن عبيد الله، عن مجاهد، قال: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو رَاشِدٍ وَهُوَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مریم: ٧١]؟ قَالَ: أَمَّا أَنَا وَأَنْتَ يَا أَبَا رَاشِدٍ فَسَنَرُدُّهَا، فَانْظُرْ هَلْ تَصُدُّرُ عَنْهَا أَمْ لَا؟^(٢)

وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، أي: إذا مرَّ الخلائق كلُّهم على النار، وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوي المعاصي بحسبهم، نَجَّى اللهُ تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم، فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا، ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين، فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيخرجون خلقًا كثيرًا، قد أكلتهم النار، إلا دارات وجوههم وهي مواضع السجود، وإخراجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان، فيخرجون أولًا من كان في

(١) رواه الطبري في "تفسيره" (١٨/ ٢٣٠) قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء به.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٨/ ٢٣٣).

□ ورواه هناد في "الزهد" (١/ ١٦٤) برقم (٢٢٩)، من طريق ليث عن مجاهد نحوه. وعزاه في

"الدر المنثور" (٥/ ٥٣٥) لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي

حاتم والبيهقي في البعث.

قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، حتى يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، ثم يُخرج الله من النار من قال يومًا من الدهر: لا إله إلا الله، وإن لم يعمل خيرًا قط، ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود؛ كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾. اهـ.^(١)

والفرق التي أنكرت الصراط هي الفرق التي أنكرت جميع السمعيات كالجهمية والمعتزلة؛ وهما فرقتان هالكتان ضلَّتا عن سواء السبيل وعن الصراط المستقيم؛ الذي هدى الله له أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان.

(١) "تفسير ابن كثير" (٥/ ٢٥٢-٢٥٧) باختصار.

قال رحمه الله،

وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحُكْمَةٍ ﴿١٣٩﴾ وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى الْجَنَّةِ سَيَدُخُلُ

الشرح:

✽ المسألة الثانية عشرة التي اشتملت عليها المنظومة.

ففي هذا البيت أيضًا بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة في شأن أهل الجنة والنار؛ استنادًا إلى قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: من الآية ٧].

فالأشقياء في النار -والعياذ بالله- حكمة من الله وعدلاً، والأتقياء في الجنة رحمة من الله وفضلاً.

فلا يُسَوِّي الخلاق العليم بين الأشقياء وبين الأتقياء في الجزاء؛ لأنهم لم يستووا في العمل، قال ﷺ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَنَاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وإذ كان الأمر كذلك وهو كذلك بدون ريب، فإن من دخل النار فهو بعدل الله وحكمته، ثم بالعمل الذي أسلفه في حياة العمل -عمل السوء

والشر- الذي حذره الله من الوقوع فيه.

ومن دخل الجنة بفضل الله ورحمته، ثم بالعمل الذي أسلفه في حياة العمل، كما قال عز شأنه: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، وهو خطاب لأهل الجنة.

وقال ﷺ: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥] وذلك في شأن الأشقياء.

وفي هذه المسألة ينبغي التنبيه على مسألة هل الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن؟

فمذهب أهل السنة والجماعة وجوب الإيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان وموجودتان، فهم لا يشكّون في ذلك، ولا يترددون؛ لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أخبرنا عن الجنة والنار، وذكر نعوت الجنة وصفات أهلها، وذكر النار وصفات أهلها، وبين النبي ﷺ بأن الجنة والنار موجودتان، وهذا كما أسلفت معتقد أهل الحق السائرين على نهج السلف، بخلاف أهل البدع الذين لا يؤمنون بأن الجنة والنار موجودتان، ويرون أن وجودهما الآن ضربٌ من العيب؛ لأنه لا يدخلهما أحد، كالجهمية المعطلة الذين أبعدهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بسبب ما اكتسبوا واجترحوا من السيئات، وابتعدوا عن وحي الله، وحكّموا عقولهم الخاطئة، فأنكروا وجود الجنة والنار، فردوا بهذا الإنكار نصوص الكتاب والسنة المثبتة لوجود الجنة والنار وأنهما

مخلوقتان موجودتان الآن وقبل الآن وبعد الآن، فإن القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار، -ويمكن أن تقول وأنت على يقين- إن كل من مات فهو بعد موته إما في نعيم مقيم وإما في عذاب أليم.

فأما أهل السنة والجماعة؛ فقد استندوا في إثبات الجنة والنار وأنهما مخلوقتان موجودتان إلى نصوص الكتاب والسنة، فالنبي ﷺ أراه الله تبارك وتعالى الجنة والنار، رآها رأي العين، فقد كان يصلي بأصحابه صلاة الكسوف، فقال لأصحابه: «لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وَعِدَّتُهُ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ أَخْذَ قِطْعًا مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأْخَرْتُ...» الحديث^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتُ عَمْرًا يَجْرُ قُضْبُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ». ^(٢)

وما ثبت أن النبي ﷺ قال: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التَّرْتِيَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ...» الحديث^(٣)، وهذا لا ينافي وجود الجنة والنار الآن.

(١) رواه البخاري برقم (١٢١٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠١)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٦٢٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٠١).

(٣) رواه الترمذي برقم (٣٤٦٢)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال: وفي الباب عن أبي أيوب. وقال: =

هذا هو الحق بأن الجنة والنار لا تفتيان، أما الجنة فإنها الدار الطيبة التي لا تفتنى، بل أهلها خالدون فيها أبدًا، وهي الدار التي لها بداية، وليس لها نهاية، بل نعيم أهلها في زيادة، ولم يخالف في ذلك إلا من خالف النصوص بالإلحاد فيها.

وأما النار فالذي يظهر لي التفصيل:

□ فالنار دركات، منها ما هو لأهل الكفر الأكبر والشرك الأكبر والنفاق الاعتقادي الذين حكم الله عليهم بالخلود فيها، بسبب كفرهم الأكبر وشركهم الأكبر ونفاقهم الاعتقادي، وقال في حقهم: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا * جَزَاءً وَفَاقًا﴾ [النبا: ٢٣-٢٦].

وقال في حقهم أيضًا: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

وقال في حقهم: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُتَسَاوِينَ * لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٥]، إلى غير ذلك من النصوص القرآنية التي تدل على

= هذا حديث حسن غريب. وأورده الألباني في الصحيحة (١٠٥).

أن أهل هذه النار لا يموتون فيها ولا يحيون؛ كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يَحْفَظُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: من الآية ٣٦]، فهذه النار لا تفتنى أبداً.

□ وطبقة عليا في النار: التي أعدت لمن شاء الله تعذيبهم من عصاة الموحدين، يطهرهم الله بالنار فيها حكمة منه وعدلاً، بقدر ما جَنَوا، ثم يخرجهم من النار إلى الجنة، وقد أخذت منهم النار بقدر معاصيهم، وقد جاء في النصوص أن النار تأكلهم إلا مواضع السجود؛ فإن الله حَرَّمَ على النار أن تأكل مواضع السجود -أعضاء السجود-، فهذه الطبقة هي التي تفتنى ويأتي عليها وقت تصطفق أبوابها ليس فيها أحد، وقد جاء في الحديث القدسي أن الله تعالى يقول: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا آرَحْمُ الرَّاحِمِينَ، فَيُخْرِجُ مِنَ النَّارِ قَوْمًا قَدْ صَارُوا حُمَمًا...» الحديث. (١)

(١) رواه مسلم برقم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه.

قال رحمه الله:

وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ ﴿١٤٣﴾ عَمَلٌ يُقَارِنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ

الشرح:

المسألة الثالثة عشرة: في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة السلف الصالح في الإيمان بالحياة البرزخية.

فهم يعتقدون بأن هناك حياة وسطى بين الحياة الدنيا والحياة الآخورية، وهي تسمى الحياة البرزخية، ويؤمنون بأن المرء العاقل من بني آدم يسأل في قبره، فإما أن يكون في نعيم للمؤمنين الذين يلهيهم الله الحجة؛ لأنهم أتوا بالأسباب النافعة من عمل الصالحات وترك المنكرات، فيجيئون بما يكون سبباً في نجاتهم، فيقول المؤمن: الله ربِّي والإسلام ديني ومحمد ﷺ نبيي.

وإما أن يكون في جحيم للكافرين والمنافقين بسبب أعمالهم وأقوالهم في الدنيا، حتى يبعث الله الخلق ليوم القيامة.

وكذلك في هذه المسألة بيان أن قرين المرء في قبره هو عمله الذي أملاه على الكرام الكاتبين بأقواله وأفعاله. وهذا حق؛ لأنه ثابت بالنص عن النبي ﷺ، وهو القرين الذي يقارنه في قبره.

ومن أدلة إثبات عذاب القبر من القرآن الكريم:

قَوْلُ اللَّهِ ﷻ فِي قَوْمِ فِرْعَوْنَ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ

تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿غافر: ٤٦﴾، فقولُه: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ هذا في الحياة البرزخية.

قال ابن كثير رَحِمَهُ في تفسير هذه الآية: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: من الآية ٤٦].

ولكن هنا سؤال: وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية، وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ، وقد قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم - هو ابن القاسم أبو النضر -، حدثنا إسحاق بن سعيد - هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص -، حدثنا سعيد - يعني: أباه -، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَخْدُمُهَا، فَلَا تَصْنَعُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ: وَقَالَ اللَّهُ عَذَابُ الْقَبْرِ. قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِلْقَبْرِ عَذَابٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ ﷺ: «لَا، مَنْ زَعَمَ ذَلِكَ؟»، قَالَتْ: هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ، لَا أَصْنَعُ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ: وَقَالَ اللَّهُ عَذَابُ الْقَبْرِ. قَالَ ﷺ: «كَذَبَتْ يَهُودٌ، وَهُمْ عَلَى اللَّهِ أَكْذَبُ، لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُوتَ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نِصْفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلًا بِثَوْبِهِ مُحَمَّرَةً عَيْنَاهُ وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «الْقَبْرِ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ! أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ بِكُمْ كَثِيرًا

وَصَحَّحْتُمْ قَلِيلًا! أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ. (١)

وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه.

وروى أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَأَلْتُهَا امْرَأَةً يَهُودِيَّةً، فَأَعْطَتْهَا، فَقَالَتْ لَهَا: وَقَالَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَأَنْكَرْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَلِكَ، فَلَمَّا رَأَتْ النَّبِيَّ ﷺ قَالَتْ لَهُ، فَقَالَ ﷺ: «لَا»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: ثُمَّ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ: «وَإِنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ». (٢)

وهذا أيضًا على شرطهما.

فَيُقَالُ: فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية، وفيها دلالة على عذاب البرزخ؟

والجواب: أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوًّا وعشيًّا في البرزخ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصًا بالروح، فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه، فلم

(١) رواه أحمد (٦/ ٨١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٧٩) - «البغية»: هو في «الصحيح» باختصار، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٢٣٦): على شرط البخاري.

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٣٨).

يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها. وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب.

ومما يدل على ذلك: ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهِيَ تَقُولُ: أَشَعَرْتَ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ؟ فَارْتَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «إِنَّمَا يُفْتَنُ يَهُودٌ». قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَلَبِثْنَا لَيَالِي، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ». وَقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ يَسْتَعِيدُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

وهكذا رواه مسلم^(١) عن هارون بن سعيد وحرمله، كلاهما عن ابن وهب، عن يونس بن يزيد الأيلي عن الزهري به.

وقد يقال، إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الأجساد في قبورها، فلما أوحى إلى النبي ﷺ في ذلك بخصوصه، استعاض منه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقد روى البخاري من حديث شعبة، عن أشعث ابن أبي الشعثاء، عن أبيه، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: نَعُودُ

(١) رواه أحمد (٢٤٨/٦)، ومسلم برقم (٥٨٤).

□ ورواه النسائي برقم (٢٠٦٤) عن سليمان بن داود عن ابن وهب به.

بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَقَالَ ﷺ: «نَعَمْ، عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ». قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدُ صَلَّى صَلَاةً إِلَّا تَعَوَّذَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.^(١)

فهذا يدل على أنه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر، وقرّر عليه.

وفي الأخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك، حتى جاءه الوحي، فلعلهما قضيتان. والله سبحانه أعلم. وأحاديث عذاب القبر ونعيمه كثيرة جداً. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿عُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: صَبَاحًا وَمَسَاءً، مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، يُقَالُ لَهُمْ: يَا آلَ فِرْعَوْنَ هَذِهِ مَنَازِلُكُمْ، تَوْبِيخًا وَنَقْمَةً وَصَغَارًا لَهُمْ.^(٢)

وقال ابن زيد: هُمْ فِيهَا الْيَوْمَ يُغْدَى بِهِمْ وَيُرَاحُ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.^(٣)

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد، حدثنا المحاربي، حدثنا ليث، عن عبد الرحمن بن ثروان، عن هزيل، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قَالَ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طُيُورٍ خُضِرَ تَسْرُحُ بِهِمْ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاؤُوا، وَإِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَجْوَافِ عَصَافِيرَ تَسْرُحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ

(١) رواه البخاري برقم (١٣٧٢)، ورواه مسلم (٥٨٦) عن هناد بن السري عن أبي الأحوص عن أشعث به. ولم يسق لفظه تاماً.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٩٦/٢١)، وعبد بن حميد وابن المنذر، كما في «الدر المنثور» (٢٩١/٧).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في أهوال القبور، كما في «أهوال القبور» لابن رجب (ص ١١٢) - عاطف شاهين، وابن أبي حاتم في «تفسيره»، كما في «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» للسيوطي (ص ٢٥٦) - المعرفة.

شَاءَتْ، فَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مُعَلَّقَةٍ فِي الْعَرْشِ. وَإِنَّ أَرْوَاحَ آلِ فِرْعَوْنَ فِي
أَجْوَافِ طُيُورٍ سُودٍ تَغْدُو عَلَى جَهَنَّمَ وَتَرْوُحُ عَلَيْهَا، فَذَلِكَ عَرْضُهَا»^(١).

وقد رواه الثوري، عن أبي قيس، عن الهزيل بن شرحبيل من كلامه في
أرواح آل فرعون^(٢)، وكذلك قال السُّدِّي^(٣).

وقال الإمام أحمد. حدثنا إسحاق، حدثنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر
رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ
بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ
النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَيَقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»^(٤). أخرجه في «الصحيحين»^(٥) من حديث مالك به^(٦).

ومن الأدلة الدالة على عذاب القبر ونعيمه، وأن قرين المرء في قبره هو عمله ما يلي:
﴿١﴾ ما جاء عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَخْدُمُهَا، فَلَا تَصْنَعُ عَائِشَةَ

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٣٢٦٧/١٠) برقم (١٨٤٣٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٦٥/١٣) عن وكيع، والطبري في «تفسيره» (٣٩٥/٢١)، عن محمد بن
بشار عن ابن مهدي، (وكيع وابن مهدي) كلاهما عن سفيان به.

□ وتابع سفيان مسعراً رواه هناد في «الزهد» (٢٢١/١) برقم (٣٦٦) عن محمد بن عبيد عنه.

□ ورواه عبد بن حميد، كما في «الدر المنثور» (٢٩٠/٧).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٩٥/٢١).

(٤) رواه أحمد (١١٣/٢). وقد رواه مالك في «الموطأ» (٢٣٩/١) برقم (٥٦٦).

(٥) رواه البخاري برقم (١٣٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٦٦)، والنسائي برقم (٢٠٧٢).

(٦) «تفسير ابن كثير» (١٤٦-١٤٩).

وَيُحْتَفَلُ بِهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ لَهَا الْيَهُودِيَّةُ: وَقَاكَ اللَّهُ عَذَابَ
الْقَبْرِ، قَالَتْ وَبَشَرًا: فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
هَلْ لِلْقَبْرِ عَذَابٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ ﷺ: «لَا، مَنْ زَعَمَ ذَلِكَ؟»،
قَالَتْ: هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ، لَا أَصْنَعُ إِلَيْهَا شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ إِلَّا قَالَتْ:
وَقَاكَ اللَّهُ عَذَابَ الْقَبْرِ، قَالَ ﷺ: «كَذَبَتْ يَهُودٌ، وَهُمْ عَلَى اللَّهِ
أَكْذَبُ، لَا عَذَابَ دُونَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، ثُمَّ مَكَثَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ
يَمُكِّثَ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ نَصَفَ النَّهَارِ مُشْتَمِلًا بِثَوْبِهِ مُحَمَّرَةً عَيْنَاهُ
وَهُوَ يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «الْقَبْرُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ! أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ
تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ بِكَيْفَتِكُمْ كَثِيرًا وَضَحِكُكُمْ قَلِيلًا، أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَعِيدُوا
بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ»^(١) وهذا إسناد صحيح
على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه. وقد تقدم ذكره قريباً.

وقد ثبت أيضاً عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ،
فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ،
وَيَبْقَى عَمَلُهُ»^(٢).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جَنَازَةٍ
رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) سبق تخريجه (ص ١٤٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٥١٤)، ومسلم برقم (٢٩٦٠).

وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ، وَفِي يَدِهِ عُرْدٌ يَنْكُثُ بِهِ الْأَرْضَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ إِلَى الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ. قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُ، فَيَشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. قَالَ: فَتَعَادُ رُوحُهُ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ

الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا عَلِمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرُسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْبُسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ الْبَصَرِ. قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ. فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تَوَعَّدُ. فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ. فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ؛ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي».

قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ إِلَى الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ أَخْرِجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ. قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهُ كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُ

فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ لِحْيَاتِهِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ: اُكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَيُطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فَنَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي! فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ نَتْنُ الرِّيحِ. فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسْوُوكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ. فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ، ثُمَّ يُقَيِّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمٌ فِي يَدِهِ مِرْزَبَةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً فَيَصِيرُ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَيَصْبِيحُ صَبِيحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، قَالَ الْبَرَاءُ: ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، وَيَمْهَدُ

لَهُ فِرَاشٌ مِنَ النَّارِ. رواه الإمام أحمد^(١)، ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه بنحوه مختصرًا.

وَأَمَّا مَنْ خَالَفَ مِنَ الْفِرْقِ الْهَالِكَةِ فِي نَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ فَهَمْ:

المعتزلة: الذين لا يؤمنون بما يحدث في القبر؛ لأنَّ جُلَّ عقائدهم يستندون فيها إلى عقولهم القاصرة، ضاربين بالنصوص وراء ظهورهم وكأنهم لا يعلمون. فهم يبنون جُلَّ أمورهم على عقولهم، ويزعمون أن أدلة الشريعة هي أدلة ظنية، بخلاف أدلة العقل فهي عندهم يقينية.

فيجب الإيمان بالأحوال التي تكون بعد الموت في الحياة البرزخية التي ثبت في النصوص أنَّها إما نعيم وإما جحيم، فهي نعيم لمن أتوا بأسباب

(١) رواه أحمد (٢٨٧/٤) واللفظ له. ورواه أحمد -أيضاً- (٢٨٨/٤ و ٢٩٥ و ٢٩٧)، وأبو داود (برقم (٤٧٥٣) و (٤٧٥٤))، والنسائي (برقم (٢٠٠١))، وابن ماجه (برقم (١٥٤٨) و (١٥٤٩))، وغيرهم.

قال ابن منده -باختصار-: هذا إسناد متصل مشهور، رواه جماعة عن البراء، وهو ثابت على رسم الجماعة.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقال البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص ٣٩): هذا حديث كبير صحيح الإسناد، رواه جماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش.

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٩٧/٤): حديث حسن رواه محتج بهم في الصحيح. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٩٠/٤): حَدِيثٌ حَسَنٌ ثَابِتٌ.

وقال ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٥٨ -الكتب العلمية): صحيح؛ صححه جماعة من الحفاظ.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٣/٣) -«البغية»-: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (ص ١٥٩).

الرحمة والمغفرة، وفي مقدمة الأسباب: التوحيد والإيمان بالله وبرسله. وإما عذاب أليم لأهل الكفر والطغيان.

وفي الأثر: «القَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ»^(١) وثبت أن المؤمن يُفَسَّحَ له في قبره مدُّ البصر، ويفرش له من لباس الجنة، ويأتيه من طيبها وريحها ما ينعم به، والتنعيم للروح والبدن، ولكنه للروح أكمل في الحياة البرزخية، حتى تأتي الحياة الأخروية، فيكتمل النعيم للروح والجسد. وأن أهل الإجماع - والعياذ بالله - يُعَذَّبُونَ في قبورهم من أهل الكفر والنفاق والارتياب، ومن أراد الله تعذيبه من عصاة الموحدين.

قَالَ اللهُ

هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ^(١) وَمَالِكٍ^(٢) ١٥٥

(١) هو الإمام الفقيه ناصر السنة ومجدد الملة أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، عالم العصر، تأسر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلب، الشافعي، مولده بغزة سنة (١٥٠هـ)، ومنشؤه بمكة، طلب العلم ببلده مكة والمدينة واليمن والعراق، تخرج بمسلم بن خالد الزنجي، ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة، وكتب عن محمد بن الحسن الشيباني وناظره، وساد أهل زمانه بتمكنه من لسان العرب وجودة فقهه واتباعه لصحيح الآثار، حتى لقب ناصر الحديث، وكثر الأخذون عنه، وحضر مجالسه كبار الأئمة أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي ثور، والحميدي، والبيوطي، وابن عبد الحكم وغيرهم، وهو أول من صنف في علم أصول الفقه، وكتابه مشهور باسم «الرسالة»، وهما اثنتان، البغدادية وهي القديمة، والمصرية وهي التي بنى عليها مذهبه الجديد، من أقواله المأثورة: (لله أسماء وصفات لا يسع أحدا قامت عليه الحجة ردّها؛ فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه فمعدور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر، ونشبت هذه الصفات ونفي عنها التشبيه، كما نفى عن نفسه، قال: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

وقال، حُكِمَ في أهل الكلام أن يُضَرَّبُوا بِالْجَرِيدِ، وَيُحْمَلُوا عَلَى الْإِبِلِ، وَيُطَافُ بِهِمْ فِي الْعَسَائِرِ، يُنَادَى عَلَيْهِمْ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ. وقال، لأن يلقى الله العبد بكل ذنب إلا الشرك خير من أن يلقاه بشيء من الأهواء. وأوصى تلميذه الربيع: يا ربيع، أقبل مني ثلاثة: لا تخوضن في أصحاب رسول الله ﷺ، فإن خصمك النبي ﷺ غدا. ولا تشتغل بالكلام؛ فإنني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل. ولا تشتغل بالنجوم.

وقال، للبيوطي: لا تصل خلف الرافضي، ولا القدري، ولا المُرْجِي.

توفي رحمه سنة (٢٠٤هـ). انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/٥-٩٩).

(٢) هو إمام دار الهجرة وعالم المدينة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خنبل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن عوف بن مالك بن زيد بن

(١) يؤثر هذا الكلام عن بلال بن سعد رحمه؛ أخرجه البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (١/٦٢٢) برقم (٣٩٧).

وَأَبِي حَنِيفَةَ (١)

شَدَادُ بْنُ زُرْعَةَ، وَهُوَ جَمِيرُ الْأَصْغَرِ الْجَمِيرِيُّ، ثُمَّ الْأَصْبَحِيُّ، الْمَدَنِيُّ، حَلِيفُ بَنِي تَيْمٍ، مَوْلَاهُ عَلَى الْأَصْحَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ، عَامَ مَوْتِ أَنَسٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

طَلَبَ الْعِلْمَ وَهُوَ حَدَّثَ، وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ نَافِعِ مَوْلَى ابْنِ عَمْرٍ، وَابْنِ الْمُنْكَدَرِ، وَالزَّهْرِيِّ، وَأَبِي الزِّنَادِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ هَرْمَزٍ، وَرَبِيعَةَ الرَّائِي، وَيَحْيَى بْنَ سَعِيدِ الْأَنْصَارِيِّ، وَغَيْرِهِمْ، وَجَلَسَ لِلتَّحْدِيثِ وَهُوَ شَابٌ وَقَصْدُهُ الطَّلَابُ مِنَ الْأَفَاقِ، وَرَوَى عَنْهُ مِنْ شِبْخِ: الزَّهْرِيِّ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْأَنْصَارِيِّ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو حَنِيفَةَ وَصَاحِبُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، وَالشَّافِعِيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَالْأَوْزَاعِيُّ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ وَغَيْرِهِمْ، وَلَا زَمَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْمَاجِشُونِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ، وَأَشْهَبُ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ فُقَهَاءِ مَذْهَبِهِ، وَصَنَفَ «الْمَوْطَأَ» عَلَى الْأَبْوَابِ وَفِيهِ اخْتِيَارَاتُهُ، وَحَمَلَهُ عَنْهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ.

مَنْ أَقْوَالُهُ رَحِمَهُ: مُحَالٌ أَنْ نَظُنَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ عَلِمَ أُمَّتَهُ الْإِسْتِجَاءَ، وَلَمْ يَعْلَمَهُمُ التَّوْحِيدَ.

وَقَالَ: الْكَلَامُ فِي الدِّينِ أَكْرَهُهُ، وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ بِلْدَانَا يَكْرَهُونَهُ، وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ، نَحْوُ الْكَلَامِ فِي رَأْيِ جَهْمٍ، وَالْقَدَرِ، وَكُلِّ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَلَا أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَّا فِيمَا تَحْتَهُ عَمَلٌ، فَأَمَّا الْكَلَامُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَفِي اللَّهِ ﷻ؛ فَالْسَّكُوتُ أَحَبُّ إِلَيَّ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ أَهْلَ بِلْدَانَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الدِّينِ، إِلَّا مَا تَحْتَهُ عَمَلٌ.

وَقَالَ: لَوْ أَنَّ الْعَبْدَ ارْتَكَبَ الْكِبَائِرَ كُلَّهَا بَعْدَ أَنْ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، ثُمَّ نَجَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ؛ لَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ فِي أَعْلَى جَنَّاتِ الْفَرْدَوْسِ؛ لِأَنَّ كُلَّ كَبِيرَةٍ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ هُوَ مِنْهَا عَلَى رَجَاءٍ، وَكُلُّ هَوًى لَيْسَ هُوَ مِنْهُ عَلَى رَجَاءٍ؛ إِنَّمَا يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وَقَالَ: لَا تَمَكُنْ زَانِعَ الْقَلْبِ مِنْ أَذْنِكَ؛ فَإِنَّكَ مَا تَدْرِي مَا يَعْلَقُكَ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَالَ: بَشِ الْقَوْمَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، لَا تَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ: كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ ﷺ.

تُوفِيَ رَحِمَهُ سَنَةَ (١٧٩هـ)، انْظُرْ: «سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (٤٨/٨-١٣٥)، وَكِتَابُ «عَقِيدَةِ الْإِمَامِ مَالِكٍ» لِسَعُودِ الدَّعْجَانِ.

(١) الْإِمَامُ، فَيِّقَةُ الْمِلَّةِ، عَالِمُ الْعِرَاقِ، أَبُو حَنِيفَةَ النَّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ بْنِ زُوَيْطِ التَّيْمِيِّ، الْكُوفِيُّ، مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ اللَّهِ بْنِ تَعْلَبَةَ. يُقَالُ: إِنَّهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْفَرَسِ. وَلَدَتْهُ سَنَةُ ثَمَانِينَ، فِي حَيَاةِ صِغَارِ الصَّحَابَةِ.

رَوَى عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رِيَّاحٍ، وَالشَّعْبِيِّ، وَالْحَكَمِ بْنِ عَتِيْبَةَ وَغَيْرِهِمْ، وَتَخَرَّجَ بِحَمَادِ بْنِ أَبِي

ثُمَّ أَحْمَدَ (١) يُنْقَلُ

سُلَيْمَانُ، وَرَوَى عَنْهُ الْعِلْمُ ابْنَهُ حَمَادٌ وَأَبُو يُونُسَ الْقَاضِي، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيُّ، وَالْحَسَنُ ابْنُ زِيَادِ اللَّوْلُؤِيِّ، وَزُفَرُ بْنُ الْهَذِيلِ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَأَبُو عَاصِمِ النَّبِيلِ، وَوَكَيْعٌ وَغَيْرُهُمْ.

قَالَ ابْنُ مَعِينٍ: كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ ثِقَةً، لَا يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ إِلَّا بِمَا يَحْفَظُهُ، وَلَا يُحَدِّثُ بِمَا لَا يَحْفَظُ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: أَبُو حَنِيفَةَ أَفْقَهُ النَّاسِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: النَّاسُ فِي الْفَقْهِ عِيَالٌ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ.

مَنْ أَقْوَالُهُ رَحِمَهُ: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْطِقَ فِي ذَاتِ اللَّهِ بِشَيْءٍ، بَلْ يَصِفُهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يَقُولُ فِيهِ بِرَأْيِهِ شَيْئًا تَبَارَكَ اللَّهُ وَتَعَالَى رَبُّ الْعَالَمِينَ.

وَقَالَ: مَنْ قَالَ: لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ؟ فَقَدْ كَفَرَ، وَكَذَبَ مِنْ قَالَ: إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا أَدْرِي الْعَرْشَ أَفِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ.

وَقَالَ: أَنَا مِنَ الْمَشْرِقِ رَأْيَانُ خَبِيثَانٍ: جَهْمٌ مَعْطَلٌ، وَمَقَاتِلُ مُشَبَّهٌ.

وَقَالَ: إِنِّي أَخَذْتُ بِكِتَابِ اللَّهِ إِذَا وَجَدْتَهُ، فَلَمَّا لَمْ أَجِدْهُ فِيهِ أَخَذْتُ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْأَثَارِ الصَّحَّاحِ عَنْهُ الَّتِي فَشَتْ فِي أَيْدِي الثَّقَاتِ عَنْ الثَّقَاتِ، فَإِذَا لَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ أَخَذْتُ بِقَوْلِ أَصْحَابِهِ مَنْ شِئْتُ وَأَدْعُ قَوْلَ مَنْ شِئْتُ، ثُمَّ لَا أَخْرُجُ عَنْ قَوْلِهِمْ إِلَّا قَوْلَ غَيْرِهِمْ، فَإِذَا انْتَهَيْتُ الْأَمْرَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَالشَّعْبِيِّ، وَالْحَسَنِ، وَابْنِ سِيرِينَ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ... -وَعَدَّدَ رَجُلًا قَدْ اجْتَهِدُوا- فَيَا أَنْ اجْتَهِدَ كَمَا اجْتَهِدُوا.

تُوفِيَ رَحِمَهُ سَنَةَ (١٥٠هـ)، انْظُرْ: «أَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ» لِلصَّيْمَرِيِّ (ص ٢٤)، وَ«سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (٦/٣٩٠-٤٠٣)، وَ«اعْتِقَادُ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ» لِلخَمِيسِ (ص ١٠ و ١٢).

(١) هُوَ الْإِمَامُ حَقًّا، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ صِدْقًا، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَنْبَلٍ بْنِ هِلَالٍ بْنِ أَسَدِ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ بْنِ عَوْفٍ بْنِ قَاسِمٍ بْنِ مَازِنٍ بْنِ شَيْبَانَ بْنِ ذُهْلٍ بْنِ تَعْلَبَةَ بْنِ عَكَابَةَ بْنِ صَغَبٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرٍ وَائِلِ الدُّهْلِيِّ، الشَّيْبَانِيُّ، الْمَرْوَزِيُّ، ثُمَّ الْبَغْدَادِيُّ، أَحَدُ الْأُئِمَّةِ الْأَعْلَامِ. وَلَدَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ (١٦٤هـ)، وَنَشَأَ يَتِيمًا بِرِعَايَةِ أُمِّهِ، وَطَلَبَ الْعِلْمَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَوَى عَنْ هَشِيمٍ، وَيَحْيَى الْقَطَانَ، وَوَكَيْعٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَسُفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ، وَعَبْدَ الرَّزَاقِ الصَّنَعَانِيَّ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرَ، وَابْنَ عَلِيَّةٍ، وَيزِيدَ بْنَ هَارُونَ، وَأَبِي نَعِيمٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ نَمِيرٍ، وَقَتِيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ وَغَيْرِهِمْ، وَسَمِعَ أَبَا يُونُسَ الْقَاضِيَّ، وَتَفَقَّهَ بِالشَّافِعِيِّ، وَرَوَى عَنْهُ خِلَافًا لَا يَحْصُرُونَ، مِنْهُمْ: الشَّافِعِيُّ، وَعَبْدُ الرَّزَاقِ، وَابْنُ الْمَدِينِيِّ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَالدَّهْلِيُّ، وَالبَخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَأَبُو حَاتِمٍ، وَأَبُو زُرْعَةَ الرَّازِيَانِ وَوَلَدَاهُ صَالِحٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ عَمِّهِ =

الشرح:

في هذا البيت يشير ابن تيمية رَحِمَهُ إِلَى أَنْ مَا أَمْلَاهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ اللَّامِيَّةِ

= حنبل بن إسحاق، وأبو بكر الأثرم، وأبو بكر المروذي، وإبراهيم الحربي، وإسحاق الكوسج. امتحنه ثلاثة من خلفاء بني العباس في مسألة القرآن، فأبى أن يجيبهم -وجاعة من أهل العلم-، وناظره وحاولوه مع الترغيب والترهيب، والضرب والحبس، لكنه ثبت على قوله ولم يتزعزع، وصبر على العذاب ولم يجزع، حتى أتى الله تبارك وتعالى بالفرج وولي الخلافة المتوكل رَحِمَهُ، فرفع المحنة ونصر السنة، وضيّق على المعتزلة وأهانهم، وقرب أهل السنة وأكرمهم، وأعلى الله سبحانه وتعالى مقام الإمام أحمد في الدنيا، فعظمت العلماء وهابته الأمراء، وأحبته قلوب أهل السنة، وصار محنة لأهل الزيغ والضلالة، مع ما اشتهر عنه من سعة العلم والفقه، والزهد والورع، والنسك والعبادة، والتمسك بالسنة ومجانبة البدع وأهلها.

من مصنفاته: كتاب "الإيمان"، و"الرد على الزنادقة والجهمية"، و"الناسخ والمنسوخ"، و"جوابات القرآن"، و"المسند"، وكتاب "الأثرية" و"التاريخ" و"الزهد" و"فضائل الصحابة"، وزوَّى عنه جماعة من تلاميذه مسائل في الفقه والرجال والعلل، تتبعها وجمعها أبو بكر الخلال رَحِمَهُ في مجلدات.

من أقوال أحمد رَحِمَهُ: أصول السنّة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والافتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، الجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والسنة عندنا: آثار رسول الله ﷺ.

وقال: لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث. وقال: والقرآن كلام الله وليس بمخلوق ولا تضعف أن تقول ليس بمخلوق؛ فإن كلام الله منه وليس منه شيء مخلوق.

وقال: ومن السنّة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ، كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساوئهم والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ، أو أخذًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مجلف لا يقبل الله منه صرفًا، ولا عدلاً، بل حبهم سنّة، والدعاء لهم قربة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة.

توفي رَحِمَهُ سنة (٢٤١هـ)، انظر: "سير أعلام النبلاء" (١١/ ١٧٧-٣٥٨) و"اعتقاد الأئمة الأربعة" (ص ٤٦ و ٦٦ و ٧٠).

من أصول الاعتقاد هو مذهبٌ للأئمة الأربعة جميعًا؛ فإنهم كلهم على عقيدة واحدة، إلا ما ندر كمخالفة الأحناف في تعريف الإيمان، حيث سلکوا فيه مسلك الإرجاء، بأن اختزلوا العمل من مسمى الإيمان، فخالفوا بذلك أهل السنة والجماعة، مع اتفاقهم معهم في أن المطيع يثاب على طاعته، والعاصي يستحق العقاب على معصيته.

قال رَحِمَهُ:

فَإِنْ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمَوْفَّقٌ ﴿١٦﴾ وَإِنْ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلٌ

الشرح:

البيت الأخير السادس عشر هو الذي يتعلّق بالأبيات الأولى، والمعنى: إن اتبعت سبيل الأئمة الأربعة، فذلك علامة التوفيق للحق، وإن خالفتهم وابتدعت قولًا أو أقوالًا غير ما رأوا واعتقدوا، فلا يُعَوَّلُ على من فعل ذلك، ولا يُعْتَدُّ به ولا يعتبر من أهل الاتّباع، وإنما يعتبر من أهل الابتداع.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

مرآة من آراء علماء الأئمة ٢٥ ص ١٢٢٦

فهرسة الموضوعات والفوائد العلمية

الموضوع.....	الصفحة
ترجمة صاحب المنظومة شيخ الإسلام ابن تيمية.....	٥
نص المنظومة.....	١٣
مناسبة تصنيف هذا الشرح.....	١٥
الشرح:	
معنى المذهب.....	١٧
معنى العقيدة.....	١٧
دعاء الناظم لطالب العلم بالهداية من السنة.....	١٨
تفسير الهدى.....	١٨
افتتاح بعض أهل العلم مصنفاتهم بالدعاء للسائل والغرض منه.....	١٩
أدلة الكتاب والسنة هي التي توصل إلى التحقيق واليقين.....	٢٠
أولى مسائل هذه العقيدة: القول في الصحابة.....	٢٠
تعريف الصحابي.....	٢١
الأدلة على فضل الصحابة ووجوب محبتهم ومشروعية الترضي عنهم.....	٢١

الأدلة من القرآن الكريم:.....	٢١
١- قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ الآية.....	٢١
تقرير وجه الاستدلال بالآية.....	٢٢
تفسير الحافظ ابن كثير للآية.....	٢٢
بيان هؤلاء المقصودين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ﴾.....	٢٢
فضل السابقين على من جاء بعدهم.....	٢٣
معادلة الرافضة للصحابة الذين رويهم دليل على خذلان الله لهم وانتكاس عقولهم.....	٢٤
٢- قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الآية.....	٢٥
تقرير الاستدلال بالآية.....	٢٥
تفسير الحافظ ابن كثير للآية.....	٢٥
كلام المفسرين في قوله تعالى: ﴿يَسَاءَ لَهُمْ فِي جُحُودِهِمْ﴾.....	٢٧
استدلال الإمام مالك رحمته الله بالآية على كفر الرافضة.....	٢٨
٣- قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ الآيات.....	٢٩
تقرير وجه الاستدلال بالآية.....	٣٠
تفسير الحافظ ابن كثير للآية.....	٣٠
وصية عمر رضي الله عنه الخليفة بعده بالمهاجرين الأولين والأنصار خيراً.....	٣٠
معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يَحْسَنُ﴾.....	٣١
حسن استنباط الإمام مالك رحمته الله من الآية عدم استحقاق الرافضة من الفيء شيئاً.....	٣٢

- تفسير عائشة رضي الله عنها لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية..... ٣٣
- الأدلة من السنة على وجوب محبة الصحابة وفضلهم..... ٣٥
- المسألة الثانية: بيان فضل الصحابة عموماً وتفاضلهم فيما بينهم..... ٣٩
- اعتقاد تفاضل الصحابة فيما بينهم لا يدل على نقص في المفضل..... ٣٩
- ترتيب الأصحاب في الفضل..... ٣٩
- ترجمة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه (الحاشية)..... ٤٠
- ترجمة الزبير بن العوام رضي الله عنه (الحاشية)..... ٤٠
- ترجمة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (الحاشية)..... ٤٠
- ترجمة أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (الحاشية)..... ٤٠
- ترجمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (الحاشية)..... ٤٠
- ترجمة سعيد بن زيد رضي الله عنه (الحاشية)..... ٤٠
- من فضائل الخلفاء الراشدين..... ٤٢
- من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه..... ٤٢
- ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه (الحاشية)..... ٤٢
- من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه..... ٤٦
- ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (الحاشية)..... ٤٦
- من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه..... ٤٩
- ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه (الحاشية)..... ٤٩

- من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه..... ٥١
- ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (الحاشية)..... ٥١
- من فضائل بقية العشرة المبشرين بالجنة..... ٥٣
- من فضائل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه..... ٥٣
- من فضائل الزبير بن العوام رضي الله عنه..... ٥٣
- من فضائل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه..... ٥٤
- من فضائل أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه..... ٥٥
- من فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه..... ٥٥
- من فضائل سعيد بن زيد رضي الله عنه..... ٥٦
- من فضائل المهاجرين..... ٥٦
- من فضائل الأنصار..... ٥٦
- من فضائل أهل بدر..... ٥٧
- من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان..... ٥٨
- من فضائل البقية من أصحاب النبي ﷺ..... ٥٩
- منزلة الصحابة عند المسلمين الصادقين..... ٥٩
- وجوب معرفة هذه المسألة والتزام قول أهل السنة والجماعة فيها:..... ٦٠
- الوقفة الأولى: بيان منهج أهل السنة والجماعة تجاه الصحابة عموماً وأنهم وسط بين الرافضة والخوارج..... ٦٠
- الوقفة الثانية: منهج أهل السنة والجماعة إزاء ما شجر بين الصحابة:..... ٦١

- السكوت عنه..... ٦١
- ترك البحث فيه واجتنابه..... ٦١
- الاعتذار لهم كونهم:
- ١- مجتهدين معفو عنهم فيما أخطؤوا فيه..... ٦١
- ٢- يغفر لهم ما لا يغفر لمن بعدهم لصحبتهم النبي ﷺ، ولما لهم من السابقة الحسنة والأعمال الجلييلة..... ٦١
- الوقف الثالثة: الحذر من سلوك سبيل أعداء الدين من الوقعة في أصحاب النبي ﷺ بسبب ما جرى بينهم..... ٦٢
- الوقف الرابعة: وجوب محبة قرابة النبي ﷺ من آمن منهم..... ٦٤
- تحديد من هم أهل البيت..... ٦٤
- منهج أهل السنة تجاه أهل البيت محبتهم والترضي عنهم وإكرامهم لا غلو ولا جفاء..... ٦٤
- إيراد ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَحَالُفًا عَاقِبَةُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكَافِرِينَ لَا تَنْفَكُوا عَنْهُمْ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَلْفُ دَرَّةٍ فِي الْقُرْآنِ﴾..... ٦٤
- تفسير ابن عباس رحمه الله للآية..... ٦٥
- ذكر من قال بقوله من مفسري السلف..... ٦٦
- مما جاء عن النبي ﷺ من الوصية بأهل بيته..... ٦٧
- مما جاء عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من إكرام أهل البيت..... ٦٨
- من فضائل أهل بيت النبي ﷺ ومناقبتهم..... ٦٩
- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الآية..... ٦٩
- إيراد ما ذكره الحافظ ابن كثير رحمه الله في الآية..... ٧٠
- الآية نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت..... ٧٠

- ذكر بعض من نص على ذلك من مفسري السلف..... ٧٠
- ذكر بعض ما جاء عن النبي ﷺ في الآية والوصية بأهل بيته..... ٧٠
- من فضائل الحسن والحسين وأبويهما رضي الله عنهما..... ٧٤
- محبة أهل البيت من الصالحات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل..... ٧٥
- معنى التوسل لغة وشرعاً..... ٧٥
- الفرق بين التوسل الشرعي والتوسل البدعي..... ٧٦
- الوقف الخامسة: بيان الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في الاعتقاد في الصحابة..... ٧٦
- الرافضة الغلاة في أهل البيت..... ٧٦
- تعريف مختصر بالرافضة (الحاشية)..... ٧٦
- الخوارج الذين كفروا علياً وأصحابه..... ٧٧
- تعريف مختصر بالخوارج (الحاشية)..... ٧٧
- نبذة عن الخوارج الأولين..... ٧٧
- تحذير النبي ﷺ من الخوارج..... ٧٨
- الجهل والكبر هما اللذان أوقعا الخوارج في مخالفة الصحابة..... ٨١
- المسألة الثالثة: اعتقاد أهل السنة والجماعة في القرآن أنه كلام منزل غير مخلوق..... ٨٢
- ذكر أول من قال بخلق القرآن..... ٨٢
- الأدلة على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق..... ٨٣
- الأدلة من القرآن الكريم..... ٨٣

- الأدلة من السنة المطهرة..... ٨٤
- القرآن ينسب إلى جبريل عليه السلام وإلى النبي ﷺ تبليغاً، وينسب إلى الله عز وجل نسبة فعل..... ٨٥
- القرآن كلام الله لفظه ومعانيه..... ٨٦
- أول من أحدث القول بخلق القرآن..... ٨٦
- الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة في هذا الأصل:..... ٨٦
- الفرقة الأولى الجهمية أتباع الجهم بن صفوان..... ٨٦
- نبذة عن الجهم بن صفوان وبعض عقائد الجهمية (الحاشية)..... ٨٦
- الفرقة الثانية المعتزلة أتباع واصل بن عطاء الغزال..... ٨٧
- نبذة عن واصل بن عطاء وبعض عقائد المعتزلة (الحاشية)..... ٨٧
- الفرقة الثالثة الأشاعرة والكلابية..... ٨٧
- التعريف بالأشعرية وبعض عقائدهم (الحاشية)..... ٨٧
- التعريف بالكلابية وبعض عقائدهم (الحاشية)..... ٨٧
- ذكر بعض اللوازم الشنيعة التي تلزم من زعم أن القرآن ليس كلام الله
- الاستدلال على أن كلام الله غير مخلوق..... ٨٩
- بيان المقصود من هذه العبارة: (قديم النوع، حادث الأحاد)..... ٩٠
- المسألة الرابعة: في بيان أن معتقد أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات هو النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة فقط..... ٩١
- تنزل القرآن الكريم بحسب المناسبات والحوادث..... ٩١
- الإمرار لا يراد به التفويض المطلق..... ٩٣

- السلف الصالح يلتزمون في هذا الباب ثلاثة أمور مهمة:..... ٩٤
- صفات الله عز وجل تنقسم باعتبار ثبوتها إلى نوعين:..... ٩٤
- النوع الأول: صفات شرعية عقلية..... ٩٤
- النوع الثاني: صفات خبرية أو سمعية..... ٩٤
- وتنقسم باعتبار آخر إلى:
- صفات ثبوتية..... ٩٤
- صفات سلبية..... ٩٥
- الصفات الثبوتية تنقسم إلى:
- صفات فعلية..... ٩٥
- صفات ذاتية..... ٩٥
- على ضوء هذه التقسيمات لصفات الله عز وجل فهي إما أن تكون:
- صفات كمال مطلق ومدح مطلق تثبتها الله عز وجل مطلقاً..... ٩٥
- صفات نقص مطلق تنفيها عن الله عز وجل مطلقاً..... ٩٦
- صفات تكون كمالاً من وجه وتكون نقصاً من وجه..... ٩٦
- الأدلة على أن الله الأسماء الحسنى والصفات العليا..... ٩٦
- الأدلة من القرآن..... ٩٦
- الأدلة من السنة..... ٩٧
- اعتقاد أن نصوص الأسماء والصفات من المحكم الذي تفهم معانيه..... ٩٨

- أسماء الله الحسنى لا تنحصر في تسعة وتسعين اسماً..... ٩٩
أصناف الملحدين في أسماء الله وصفاته:
- ١- الجهمية:..... ٩٩
٢- المعتزلة:..... ٩٩
٣- الأشاعرة والماتريدية ومن تبعهم وأصل شبهتهم..... ١٠٠
٤- الكلائية:..... ١٠٠
- كلام لشيخ الإسلام ابن تيمية في الأقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها وأنها ستة..... ١٠١
ترجيح الطريقة السلفية في هذا الباب..... ١٠١
بيان اتصال سند أهل السنة والجماعة بالنبي ﷺ والسلف الصالح..... ١٠٢
وجوب صيانة أسماء الله وصفاته عن المعاني الباطلة..... ١٠٣
المسألة السادسة: في بيان ذم من استدل بكلام البشر وترك الاستدلال بالوحيين..... ١٠٤
ترجمة مختصرة للأخطال النصراني (الحاشية)..... ١٠٥
النقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على المستدلين بقول الأخطال..... ١٠٥
من الخطأ الكبير الاستدلال في هذه المسألة بقول شاعر نصراني..... ١٠٦
كثير من الفرق المخالفة ضلت في كثير من المقائل لما تركوا النصوص الشرعية واستندوا إلى من ليس حجة في الدين..... ١٠٧
الجمع بين درهم أول من فسر الاستواء بالاستيلاء (الحاشية)..... ١٠٧
المسألة السابعة رؤية المخلوق للخالق:..... ١٠٨
الأمر الأول: إثبات أهل السنة والجماعة لرؤية المؤمنين ربهم في عرصات القيامة وفي الجنة..... ١٠٨

أدلة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة:

- النصوص من القرآن الكريم:..... ١٠٨
- ١- قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾..... ١٠٨
كلام الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾..... ١٠٩
الأحاديث في إثبات الرؤية متواترة عند أئمة الحديث..... ١٠٩
- الرد على من فسر قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بانتظار الثواب..... ١١٠
الحافظ ابن كثير ينقل إجماع الصحابة والتابعين والأئمة على إثبات الرؤية في الآخرة..... ١١٠
الإمام الشافعي يستنبط من قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ﴾ جواز رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى..... ١١٠
- ٢- قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾..... ١١١
تفسير النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ بالنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى..... ١١١
النقل عن الحافظ ابن كثير في تفسير الآية..... ١١٢
توجيه الحافظ ابن كثير للاختلاف المتقول في تفسير الآية..... ١١٢
ذكر من فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى من السلف..... ١١٢
حديث النبي ﷺ المفسر للآية..... ١١٤
الأدلة على رؤية المؤمنين ربهم في الجنة من السنة النبوية:..... ١١٤
النصوص الشرعية صريحة في إثبات الرؤية..... ١١٥
الأمر الثاني: أقسام الناس في الرؤية طرفان ووسط:..... ١١٥
الطرف الأول الجهمية والمعتزلة النافون للرؤية في الدنيا والآخرة..... ١١٦

- الرد على استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَا تَذَرِكُمْ إِلَّا الْأَبْصَارُ﴾..... ١١٦
- الطرف الثاني غلاة الصوفية القائلون بالرؤية في الدنيا والآخرة..... ١١٧
- تعريف مختصر بالصوفية (الحاشية)..... ١١٧
- هؤلاء الصوفية ليس لهم دليل إلا التخرص والمذيان..... ١١٨
- الطرف الوسط وهم أهل السنة والجماعة النافون للرؤية في الدنيا المثبتون لها في الآخرة في عرصات القيامة وفي الجنة..... ١١٨
- الدليل على نفي الرؤية في الدنيا..... ١١٨
- الكفار محجوبون عن رؤية الله تبارك وتعالى..... ١١٩
- المنافقون يرون الله عز وجل في عرصات القيامة..... ١١٩
- الأدلة على رؤية المنافقين لله تبارك وتعالى في العرصات..... ١١٩
- المسألة الثامنة: إثبات صفة النزول لله تبارك وتعالى..... ١٢٠
- إثبات أهل السنة لصفة النزول لله تبارك وتعالى صفة فعلية من غير تأويل..... ١٢٠
- الأدلة الصريحة على إثبات صفة النزول لله تبارك وتعالى..... ١٢٠
- السلف كانوا ينهاون عن السؤال عن كيفية الصفات..... ١٢٠
- أثر مالك رَحِمَهُ اللَّهُ في صفة الاستواء..... ١٢١
- ذكر المخالفين لأهل السنة في مسألة النزول..... ١٢١
- المسألة التاسعة: وجوب الإيمان بالميزان..... ١٢٣
- الأدلة على إثبات الميزان..... ١٢٣
- الأدلة من القرآن الكريم..... ١٢٣

- الأدلة من السنة..... ١٢٤
- المسألة العاشرة: إثبات الحوض والكوتر..... ١٢٥
- أحاديث الحوض متواترة..... ١٢٦
- يناد عن الحوض كل من غير وبدل..... ١٢٦
- الاستدلال لهذه المسألة..... ١٢٦
- حسن رجاء المؤلف في الله عز وجل أن يشرب من حوض النبي ﷺ..... ١٢٨
- الجهمية والمعتزلة والخوارج وأتباعهم ينكرون الحوض..... ١٢٨
- المسألة الحادية عشرة: وجوب الإيمان بالصراط..... ١٢٩
- الأدلة من القرآن..... ١٢٩
- الأدلة من السنة..... ١٢٩
- الصراط جسر يرده العباد بقدر أعمالهم..... ١٣٣
- الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ مِّنْكَ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الآية، عند جمهور المفسرين هو المرور على الصراط..... ١٣٣
- نقل ما ذكره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ مِّنْكَ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ الآية..... ١٣٣
- نقل اختلاف السلف في تفسير الآية..... ١٣٣
- الفرق المنكرة للصراط هي التي أنكرت جميع السمعيات كالجهمية والمعتزلة..... ١٣٧
- المسألة الثانية عشرة: بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في الجنة والنار..... ١٣٨
- الأشقياء يلجئون النار حكمه من الله وعدلاً، والأتقياء يدخلون الجنة رحمة من الله وفضلاً..... ١٣٨
- مذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بالجنة والنار وأنها مخلوقتان..... ١٣٩

- الجهمية والمعتزلة ينكرون كون الجنة والنار مخلوقتين..... ١٣٩
- الأدلة على إثبات وجود الجنة والنار..... ١٤٠
- الجنة لا تفتنى أبداً..... ١٤١
- النار التي أعدت للكافرين لا تفتنى ولا تبلى..... ١٤١
- الأدلة على دوامها وبقائها..... ١٤١
- النار التي يدخلها فساق المسلمين سيأتي عليها يوم تصطفق أبوابها..... ١٤٢
- الاستدلال لهذه المسألة..... ١٤٢
- الإيمان بالحياة البرزخية وأنها إما نعيم للمؤمنين أو عذاب للكافرين والمنافقين..... ١٤٣
- قرين المرء في قبره هو عمله الذي كان أسلفه في الدنيا..... ١٤٣
- الأدلة على إثبات عذاب القبر..... ١٤٣
- الأدلة من القرآن الكريم..... ١٤٣
- النقل عن الحافظ ابن كثير ر في تفسير قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ الآية..... ١٤٤
- إشكال وجوابه..... ١٤٤
- السنة النبوية دلت على حصول العذاب على الجسد في البرزخ..... ١٤٥
- توجيه الحافظ ابن كثير ر لتعارض الأحاديث المروية في هذا الباب..... ١٤٧
- نقل كلام بعض السلف في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾..... ١٤٧
- الأدلة من السنة على عذاب القبر ونيعمه..... ١٤٨
- الفرق المخالفة في إثبات نعيم القبر وعذابه هم المعتزلة..... ١٥٣

- لا دليل للمعتزلة في نفيهم عذاب القبر ونيعمه إلا الظنون المبنية على العقول القاصرة..... ١٥٣
- النعيم والعذاب يشمل الروح والبدن، وكما هما في الجنة أو النار..... ١٥٤
- اتفاق الأئمة الأربعة على جملة الاعتقادات المذكورة..... ١٥٥
- ترجمة الإمام الشافعي ر، ونبذ من أقواله المأثورة (الحاشية)..... ١٥٥
- ترجمة الإمام مالك ر، ونبذ من أقواله المأثورة (الحاشية)..... ١٥٥
- ترجمة الإمام أبي حنيفة ر، ونبذ من أقواله المأثورة (الحاشية)..... ١٥٦
- ترجمة الإمام أحمد ابن حنبل ر، ونبذ من أقواله المأثورة (الحاشية)..... ١٥٧
- بيان مخالفة الأحناف للسلف في مسألة الإيمان..... ١٥٨
- متبع الأئمة الأربعة في هذا الاعتقاد موفق للحق..... ١٥٩
- مخالف الأئمة الأربعة في هذا الاعتقاد كله أو بعضه مبتدع لا يعول عليه..... ١٥٩